غزوة أُحُـد

في شوال سنة ٣ هـ

كانت في السنة الثالثة من هجرة الرسول ﷺ.

وسُمِّيَتْ غزوة أُحُد باسم الجبل الذي قال عنه الرسولُ ﷺ «هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ»(١) وهو أشهر جبال المدينة المُنَوَّرَة.

وقد نزلت في شأن غزوة أحد وما جرى فيها آياتٌ من سورة آل عمران.

وقبل أن نتدبَّر حديثَ القرآن الكريم عن هذه الغزوة، نَودُّ أنْ نقف على قِصَّتها؛ لتكون عَوْنًا على حُسْن تدبُّرها وإدراك الحِكَم والأحكام التي تُستفادُ منها لقد سُبِقَتْ هذه الغزوة بغزوة بَدْر الكُبْرَى التي وقَعَت في السابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة.

وفي الآيات التي أُنزلت في غزوة أحد قد جاءت هذه الآيةُ: ﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾(٢).

وهي تتحدث عمَّا تمَّ من نَصْرٍ للمسلمين في غزوة بَدْر، وسنرى أنها وثيقة الصِّلة بما أُنزِلَ من آيات تتحدث عمَّا جَرَىَ في غزوة أحد، فقد جاءت مُتناسِبَة ومُتضَامنة مع أخواتها من الآيات في بيان حقيقة النَّصْر ومتى يكون.

فلا غرابة أن يقع ما وقع في أحد، وأن يتمَّ ما قد تَمَّ في بَدْر.

ومع تَدبُّر حديث القرآن عن بَدْر وعن أُحُدٍ نستطيع أن نعرف سُنَن الله في مُداولة الأيام بين الناس، وهي سُنَنٌ لا تتبدل ولا تتحوَّل، ولا تُجامل أحدًا من الخَلْق ولا تُحَابي.

---

(١) البخاري – كتاب المغازي، حديث رقم ٣٧٧٤، كتاب الجهاد والسير، حديث رقم ٢٦٧٥، ٢٦٧٩، كتاب الزكاة، حديث رقم ١٣٨٧، كتاب أحاديث الأنبياء، حديث رقم ٣١١٦.

(٢) آل عمران: ١٢٣.

وقد أنزل الله سبحانه سورة الأنفال في غزوة بَدْر، وهي تُسَمَّى «سورةُ بَدْر» كما أُنْزِلَت عشرات الآيات في سورة آل عمران تتحدث عمَّا جرى في غزوة أُحُد.

وإذَنْ فنحن في حاجة أن نعرف ما أُنْزِلَ فيها؛ لتظلّ عِبرتُها قائمةً في حياة الناس ما بقِيَ الليلُ والنهارُ وهي تُتْلَى في القرآن، فلا تقرأ أحداثَها في صفحاتٍ ثُمَّ تُطْوَى، وإنما تُعْرَف من آيات محفوظة باقية تُعين - دائمًا - على التبصرة والذكرى.

ولكن قبل أن نتحدث عن غزوة أُحُد وما جرى فيها من أحداث، جدير بنا أن نتوقف على «غزوة ذات السويق» وكانت بعد بدر بشهرين.

غزوة ذات السويق:

لَمَّا خَذَلَ الله المشركين في غزوة بَدْر، ورجع فُلُّهم إلى مكة مقهورين مَوْتُورين، نَذَرَ أبو سفيان بنُ حَرْب ألاَّ يَمَسَّ رأسَه ماءٌ من جَنَابة حتَّى يغْزُو محمدًا ﷺ.

فخرج في مئة رجل من قريش حتَّى أتى بني النَّضير ليلاً، وبَاتَ ليلةً واحدةً عند سَلاَّم ابن مشكم اليهودي، سيِّد بني النَّضير وصاحب كَنْزهم، فسقاه الخمرَ، وبطن له من خَبَر الناس، ثُمَّ خرج في عَقِب ليلته وأرسل أصحابَه إلى ناحية من المدينة يُقال لها «العُرَيْض»[1] فقتلوا وحرَّقوا صُورًا من النخل، ورأوا رجلاً من الأَنْصَار وحليفًا لهما فقتلوهما

وعلم به رسولُ الله ﷺ فخرج في طَلَبِه فلم يدْركهم؛ لأنهم فَرُّوا، وأَلْقَوْا سَويقاً كثيراً من أزْوَادهم يتخَفَّفُون به، فسُمِّيَتْ «ذات السَّويق» وكانت بعد بَدْر بشهرين.

وإنما ذكرناها قبل ذِكْر «أُحُد» ليَعْلَمَ القارئُ أنَّ العُدوان من المشركين على المسلمين كان مُتَّصِلاً مُتلاحِقاً.

---

(١) العُرَيْض: موضع من أرجاء المدينة، فيه أصول نخل.

قريش تستعد ليوم أُحُد:

لما رجع أبو سفيان إلى مكة، أخذَ يُؤَلِّبُ على رسول الله ﷺ والمسلمين، وكان بعد قَتْل صناديد قريش في بَدْر هو السَّيِّد الرئيس فيهم

لذلك كَلَّمَهُ في أَمْرِ المسلمين المَوْتُورون من عظماء قريش، كعبدالله بن أبي ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أُميَّة؛ ليبذل مال العِير التي كان جاء بها من الشام في أخذ الثَّأْر، فرضِيَ هو وأصحابُ العير بذلك، وكان مالُ العير - كما جاء في السيرة الحلبية - خمسين ألف دينار، رَبِحَتْ مثلَها، فبذلوا الرِّبْحَ في هذه الحرب.

فاجتمعت قريشُ للحرب حين فعل ذلك أبو سفيان، وخرجت بحَدِّهَا وجَدِّها وأحابيشِهَا[1] ومَنْ أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهَامة، وكانوا نحو ثلاثة آلاف، وأخذوا معهم نساءَهم التماسَ الحفيظة وألاَّ يَفرُّوا؛ فإن الفرار بالنساء عُسرٌ وعَارٌ.

وكان مع أبي سفيان - وهو القائد - زوجُه هندُ ابنة عُتبة، فكانت تُحَرِّض الغلامَ وَحْشياً الحبشيَّ الذي أرسله مولاه جُبيرُ بن مطعم ليقتل حمزة عمّ النبي ﷺ بعَمِّه طُعمة بن عدي الذي قُتِلَ في بَدْر، وقد عَلَّقَ عِتْقَه على قَتْلِه

وكان هذا الحبشي ماهراً في الرَّمي بالحَرْبَة على بُعْدٍ، قلَّمَا يُخطئ

فكانت هندُ كلمَّا رَأَتْهُ في الجيش تقولُ له: «وَيْهَا أبا دسمة، أَشْفِ واسْتَشْفِ» تُخاطبه بالكُنية تَكْريماً له.

وذكر الحلبيُّ أنهم سَارُوا - أيضاً - بالقِيَان والدُّفُوف والمعازف والخمور فنزل أبو سفيان بجيشه قريباً من أحد في مكان يُقال له «عينين» وكان ذلك في شوال من السنة الثالثة.

---

(١) بحدِّها - بفتح الحاء - هنا البأس، وجدِّها: العظمة والغني، والأحابيش: حلفاء قريش من اليهود والمشركين، سُمُّوا بذلك لأنهم تحالفوا بالحُبْشَى - جبل بأسفل مكة - تحالفوا أنهم مع قريش يد واحدة.

الرسول ﷺ يستشير أصحابه:

فلمَّا علم رسولُ الله ﷺ بذلك استشار أصحابَه كعادته أيَخْرُجُ إليهم أم يمكث في المدينة؟

وكان رأيُه هو ﷺ أن يتحصنوا بالمدينة، فإنْ دخلها العدوُ عليهم قاتَلُوه على أفواه الأزِقَّة، والنساء من فوق البُيُوت.

ووَافَقَهُ على هذا الرأي أكابرُ المهاجرين والأنْصَار - كما في السيرة الحلبية - وعبدُ الله بن أُبَي، وكان هو الرأي.

وأشار جماعة من أصحابه - أكثُرُهم من الأحداث وممَّن فاتَهُم الخروجُ يوم بَدْر - بأن يخرج إليهم لشدَّة رغبتهم في القتال

فما زالوا يُلحُون على رسول الله ﷺ حتَّى دخل فلَبِسَ لأْمَتَه[1] بعد صلاة الجمعة، وكان قد أوصاهم في خطبتها ووَعدَهم بأنَّ لهم النَّصْر ما صَبرُوا.

ثم خرج عليهم وقد نَدِمَ الناسُ وقالوا: اسْتَكْرَهْنَا رسولَ الله ﷺ، ولم يكن لنا ذلك.

وقالوا له: اسْتَكْرَهْنَاكَ ولم يكن لنا ذلك.

فقال ﷺ: «ما كان لنَبيٍّ إذا لَبِسَ لأْمَتَه أنْ يضعها حتَّى يحكم الله بينه وبين عدُوِّه».

ابن أُبَيّ يرجع بثُلث الجيش:

وفي سَحَر يوم السبت خرج رسول الله ﷺ بأَلْفٍ من أصحابه، واستعمل عبدَ الله بن أُمِّ مكتُوم الأعمى على الصلاة بمَنْ بَقِيَ فيها.

فلما كانوا بـ «الشَّوْط» بين المدينة وأُحُد، انعَزَل عنه عبدُ الله بن أُبَي بن سَلُول رئيسُ المنافقين بنحو ثُلُث العَسْكَر، وهم ثلاث مئة رجل.

---

(١) اللأْمَةُ: لباس الحرب.

وقال: أطاعهم وعَصَاني. وفي رواية: أطاع الولدان ومَنْ لا رأيَ لَهُ! فما ندري عَلاَمَ نَقْتُلُ أنفسنَا هَهُنَا أيُّهَا الناس؟!

فرجع بمَنْ اتَّبَعَهُ من قومه أهلِ النفاق والرِّيَب.

فتبعهم عبدُ الله بن عمرو بن حرام، أخو بني سَلَمَة يقول: أُذكرُكم الله ألا تَخذلُوا قومَكم ونبيَّكم، تعالوا قاتِلُوا في سبيل الله أو ادفعوا.

قالوا: لو نعلم أنَّكم تُقاتِلون لم نرجع، ولكن نرى ألا يكون قتالٌ.

وهمَّت بنو سَلَمَة من الأوس وبنو حارثة من الخزرج أن تفشلا، فعصمهما الله تعالى.

وقد كان خروجُ المنافقين منهم خيراً لهم، كما قال الله تعالى في مثل ذلك يوم تبُوك: ﴿**لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً**﴾(١).

وإنما ارْتَأَى عبدُ الله بن أُبَي عدم الخروج ليُكفَى أمر القتال وخطره؛ حرصاً على الحياة وإيثاراً لها على إعلاء كلمة الله.

فكان على موافقته للرسول ﷺ في الرأي مُخالفاً له في سببه وعِلَّته، فالرسول ﷺ كان يُراعي - في جميع حروبه التي كانت دفاعاً - قاعدة أخف الضررين وأبْعَد الأمرين عن العُدوان رحمة بالناس، وإيثاراً للسَّلام.

وتعَزَّزَ رأيُه - المَبْني على هذه السُّنَّة - برؤيا رَآهَا قبل ذلك، وكان لا يرى رُؤْيَا إلا جاءت مثل فَلَق الصُّبْح(٢).

رأى ﷺ في سيفه ثُلْمَةً(٣) ورأى أنَّ بَقراً تُذبَح، وأنَّه أَدْخَلَ يده في درعٍ حصينة فتأوَّل الثُّلْمةَ في سيفه برَجُلٍ يُصابُ من أهل بيته، فكان ذلك الرجل حمزة عمّه ﷺ.

---

(١) التوبة: ٤٧.

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب بدء الوحي، حديث رقم ٣، كتاب تفسير القرآن، حديث رقم ٤٥٧٢، كتاب التعبير، حديث رقم ٦٤٦٧.

(٣) الثُّلْمَة: الفرجة والشق.

obeikandi.com

وتأول البقرَ بنَفَرٍ من أصحابه يُقتَلون.

وتأوَّل الدِّرْعَ بالمدينة.

ولكنه على هذا كُلِّه عمل برأي الجمهور من أصحابه؛ إقامةً لقاعدة الشورى التي أَمَرَهُ الله بها.

وهو لم يخالف بذلك قاعدةَ «ارتكاب أخفّ الضررين» بل جَرَىَ عليها؛ لأن مخالفة رأي الجمهور - ولَوْ إلى خَيْر الأَمْرَين - هَضْمٌ لحَقِّ الجماعة، وإخلالٌ بالشُورَى التي هي أساسُ الخير كُلِّه.

وإنما كان يكون المُكْثُ في المدينة خيراً من الخروج إلى العدو في أُحُد، لو لم يكن مُخِلاً بقاعدة الشُورَى كما هو ظَاهر.

وسألَ قومٌ من الأَنْصَار النبيَّ ﷺ أن يستعينوا بحُلفائهم من اليهود فَأَبَىَ، وكان - في الحقيقة - ضِلْعُ اليهود مع المشركين، ولم يكونوا في عهودهم مَوَفِّين.

الرسول ﷺ يستعد للقتال:

ومضى رسولُ الله ﷺ حتَّى نزل الشِّعْبَ من جبل أحد، في عُدْوَةِ الوادي إلى الجبل، فجعل ظَهْرَهُ وعَسْكَرَهُ إلى أحد، وقال: «لا يُقَاتِلْ أحدٌ حتَّى نَأمَرَ بالقتال».

فلمَّا أصبح يوم السبت تَعَبَّى للقتال في سبع مئة، فيهم خمسون فارساً وظاهر بين درعين - أي لَبِسَ دِرْعَاً فوق دِرْعٍ.

واستعمل على الرُّمَاة - وكانوا خمسين - عبدَ الله بن جُبَيْر، أخا بني عمرو بن عوف، وهو مُعَلَّمٌ يومئذ بثياب بيض.

وقال: «انْضَحْ الخيلَ عنَّا بالنَّبْل، لا يأتُونَنَا من خَلْفِنا، إنْ كانت لنا أو علينا فاثْبُتْ مكانك، لا نُؤْتَيَنَّ من قِبَلِكَ».

ودفع اللواءَ إلى مُصْعَب بن عمير، أخي بني عبدالدار، وجعل على أَحَدِ المَجْنَبَتَيْن الزبيرَ بنَ العوَّام، وعلى الأخرى المنذرَ بن عمرو.

ثم استعرض ﷺ الشبابَ يومئذ، فَرَدَّ مَن اسْتَصْغَرَهُ عن القتال، وهم سبع عشرة، وأجَازَ أفراداً من أبناء الخامسة عشرة؛ لبِنيَتِهم وطاقتهم.

وكان ﷺ قد ردَّ سُمرةَ بن جندب، ورافعَ بن خَديج، ولهما خمس عشرة سنة، فقيل له: يا رسول الله، إنَّ رافِعَاً رَامٍ. فأجازه.

فقيل له: فإنَّ سُمرة يَصْرَعُ رافعاً فأجازه، وروي أنهما تصارَعَا أمامَه.

وردَّ عبدَ الله بنَ عمر، وزيدَ بنَ ثابت، وعمروَ بن حزم، وأسيدَ بن ظهير، والبراءَ بن عازب، ثُمَّ أجازهم يوم الخندق وهم أبناء خمس عشرة؛ إذ كانوا يُطيقون القتالَ في هذه السِّن، كما هو الغالب في العرب يومئذ.

وتَعَبَّتْ قريشُ وهم ثلاثة آلاف رجل، معهم مئة فرس قد جنَّبُوها، فجعلوا على مَيْمَنَةِ الخيل خالدَ بن الوليد، وعلى مَيْسَرَتها عكرمةَ بن أبي جهل

وابتدأتْ الحَرْبُ بالمُبَارَزة، ولما اشتبك القتالُ، والتقى الناسُ بعضُهم ببعض، قامت هندُ بنت عُتبة في النسوة اللاتي معها، وأخذت الدفوفَ يَضربن خلف الرجال، ويُحرضْنَهم، فقالت هند فيما تقُول:

وَيْهاً بني عبدالدار، وَيْهاً حُمَاة الأدبار، ضَرْباً بكُلِّ بَتَّار..

إنْ تُقبِلُوا نُعانِقْ، ونَفْرشُ النَّمَارق[1] أو تُدبروا نُفارِقْ، فراقاً غير وامِقْ

ورُوِيَ أن النبي ﷺ كان يقول عند سماع نشيد النساء: «اللَّهم، بك أَحُولُ، وبك أصُولُ، وفيك أُقَاتل، حسبي الله ونِعْمَ الوكيل».

وكان أوَّل من بَدَر من المشركين أبو عامر عبدبن عمرو بن صيفي، وكان رأس الأوس في الجاهلية، فلما جاء الإسلام شَرَقَ به، وجاهر رسول الله ﷺ بالعداوة، وخرج من المدينة يُؤلِّب قريشاً على قتله.

---

(١) النَّمَارق: مفارش الرِّحال.

ويزعُم أن قومه إذا رَأَوْه أطاعوه ومالوا معه، وكان يُسَمَّى «الراهب» فسَمَّاه الرسولُ ﷺ بـ «الفاسق».

ولما برزوا نادى قومَه، وتعرَّف إليهم، فقالوا له: لا أَنْعَمَ الله بك عَيْناً يا فاسق.

فقال: لقد أصاب قومي بعدي شَرٌّ.

وقاتَل قتالاً شديداً، وقد كان الظَّفْرُ للمسلمين في المبارزة ثُمَّ في المُلاحَمة

وأبْلَى - يومئذ - أبو دُجَانَة الأنْصَاري الذي أعطاه النبي سَيْفَه، وحمزةُ أسَدُ الله وأَسَدُ رسوله، وعلىٌّ بن أبي طالب، والنَّضْرُ بن أنس، وسعدُ بن الربيع، وغيرُهم بلاءً عظيماً، حتَّى انهزم المشركون ووَلُّوا الأدبار.

وروي أنَّ حمزةَ قتل وحده واحداً وثلاثين مشركاً.

قال ابنُ هشام: حدَّثني غيرُ واحد من أهل العلم أن الزبيرَ بن العوام قال:

وجَدت في نفسي حين سألتُ رسولَ الله ﷺ السيْفَ فمَنَعَنيه، وأعطاه أبا دُجَانَة، وقلت: أنا ابن صَفِيَّة عمَّته، ومن قريش، وقد قُمْتُ إليه فسألته إيَّاه قَبْلَه، وأعطاه وتركني!!

والله، لأنْظُرَنَّ ماذا يصنع، فاتَّبعتُه فأخرج عصابة له حمراء، فعصب بها رأسَه.

فقالت الأنْصَار: أخرج أبو دُجَانَة عصابة الموت، وهكذا كانت تقول إذا تعصَّب بها.

فخرج وهو يقول:

أنا الذي عاهَدَني خليلي ونحنُ بالسَّفْح لدى النخيل

ألاَّ أقوم الدَّهْر في الكُيُّول[1] أضربُ بسيف الله والرسول

قال ابن إسحاق: فجعل لا يلقَى أحداً إلا قَتَلَهُ، إلى آخر ما قال.

---

(١) الكُيُّول: آخر صفوف الحرب.

ومما كان منه أنَّه وصَل إلى هند امرأة أبي سفيان قائد المشركين، فوضع السيفَ على مَفْرَق رأسها، ولم يقتُلها.

قال: رأيتُ إنساناً يحمش[(١)] حمشاً شديداً، فصمدت له، فلمَّا حَمَلْتُ عليه وَلْوَلَ، فإذا امرأة، فَأَكْرَمْتُ سيفَ رسول الله أن أَقْتُلَ به امرأةً.

ومن فوائد إعطاء السيف أبي دُجَانَة: أن من سياسته ﷺ أنه لم يكن يُحابي قومَه ولا ذي القُربَى على غيرهم من المهاجرين، ولا المهاجرين على الأَنْصَار، ولولا ذلك لما انتُزِعَتْ من قلوبهم عصبيَّة الجنسية الجاهلية.

الرُّماة يخالفون أمر الرسول ﷺ:

لَمَّا انهزم المشركون، ووَلُّوا إلى نسائهم مُدبرين، ورأى الرُّماةُ من المسلمين هزيمتَهم، ترك الرُّماةُ مركزَهم الذي أمَرَهُم رسولُ الله ﷺ بحفْظه وألاَّ يَدَعُوه سواء كان الظَّفَرُ للمسلمين أو عليهم، وإنْ رأَوْا الطيرَ تتخطَّفُ العَسْكَر؛ لئلا يَكِرّ عليهم المشركون ويأتُوهم من ورائهم وهو ما يُعَبَّر عنه - في الاصطلاح العسكري بـ «خَطِّ الرَّجْعَة».

وقالوا: يا قوم، الغنيمة الغنيمة.

فذكَّرهم أميرُهم عهدَ رسول الله ﷺ فلم يرجعوا، وظنُّوا أن ليس للمشركين رَجْعَةٌ فذهبوا في طَلَبِ الغنيمة، وأخلوا الثُّغْرَ، فلما رأى فرسانُ المشركين الثُّغْر قد خَلا من الرُّمَاة، كرُّوا حتَّى أقبل آخرُهم، فأحاطوا بالمسلمين، وأبْلَوا فيهم، حتَّى خَلصُوا إلى رسول الله ﷺ، فجرحُوا وجهَهُ الشريف، وكسروا رُباعيَّته[(٢)] اليُمنى من ثناياه السفلى، وهشَّموا التي على رأسه، ودثوه بالحجارة حتَّى سَقَطَ لِشقِّه، ووقع في حُفْرَة من الحُفَر التي كان أبو عامر الفاسق يكيد بها للمسلمين، فأخذ بيده واحتضنه طلحةُ بن عبيد الله.

(١) أي اشتد غضبه.

(٢) رباعيته: سِنُّه التي بين الثنية والناب.

وكان الذي تولى أذاه عبدُ الله بن قمئة، وعتبةُ ابن أبي وقاص.

وكان برسول الله ﷺ ذلك اليوم من أَلَم الجراح أن عجز عن الصعود إلى صخرة أراد أن يَعْلُوَهَا، فوضع له طلحة ظهرَه فقام عليه، فنهض به حتَّى صعدها، وحانَتْ الصلاةُ، فصلى بالناس جالساً تحت لواء الأَنْصَار

وقُتِلَ في ذلك اليوم حمزةُ بن عبدالمطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَتَلَهُ وحشيٌّ الحبشي الراصد له، وقد عرفه وهو خائضُ المعمعة[1] كالجمل الأَوْرَق[2] يقط الرقاب[3]، ويُجَنْدِل الأبطالَ، لا يقف في وجهه أحدٌ، فرماه بحَرْبَته عن بُعْدٍ على طريقة الحبشي، وكان قد أَتْقَنَها، ولو قَرُبَ منه لَمَا نَالَ إلاَّ حَتْفَهُ

وقد شَقَّ على رسول الله ﷺ قَتْل عمِّه، إذ كان - على قُرْبه - من السابقين إلى الإيمان به والمانعين عنه، وكان أشدَّ أهله بأساً وأعظمهم شجاعة.

بل لو قُلنا: إنه كان أشجع المسلمين أو العرب في ذلك العهد لم نَكُنْ مُبالغين، فقد رُوِيَ أنَّ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما أقبل على النبي ﷺ يوم إسلامه خافَهُ المسلمون إلا حمزة، فإنه وطَّنَ نفسه على قتله بلا مبالاة.

ورُوِيَ أن النبي ﷺ حَلَفَ ليُمَثِّلَنَّ بهم عندما يُظفِرُه الله بهم، فنهاه الله عن ذلك، فكفَّر عن يمينه، وكان ينهى عن التمثيل بالقتلى، فلم يفعله المسلمون.

وخرج نساءٌ من المدينة لمساعدة الجَرْحَى، وكانت فاطمةُ - رضي الله عنها - هي التي دَاوَتْ جُرْحَ والدها - صلوات الله وسلامه عليه - فإنه بعد أن مَصَّ الدَّمَ منه والدُ أبى سعيد الخُدرى حتَّى أَنْقَاه، تولَّتْه هى.

ففي الصحيحين عن أبى حَازِمٍ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ جُرْحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ، إِنِّي لأَعْرِفُ مَنْ كَانَ يَغْسِلُ جُرْحَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَنْ كَانَ يَسْكُبُ الْمَاءَ، وَبِمَا دُووِيَ.

---

(١) المَعْمَعَةُ: صوتُ الحريق، وصوت الشُّجْعان في الحرب، كلُّ ذلك مَعْمَعَةٌ.

(٢) الأورق من كل شيء: ما كان لونه لون الرماد.

(٣) يَقطُّ الرقاب: أي يقطعها.

كَانَتْ فَاطِمَةُ - رضي الله عنها - بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَغْسِلُهُ، وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَسْكُبُ الْمَاءَ بِالْمِجَنِّ [١] فَلَمَّا رَأَتْ فَاطِمَةُ أَنَّ الْمَاءَ لا يَزِيدُ الدَّمَ إِلاَّ كَثْرَةً، أَخَذَتْ قِطْعَةً مِنْ حَصِيرٍ فَأَحْرَقَتْهَا وَأَلْصَقَتْهَا، فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ.. الحديث)[٢].

وقد انتهت الحربُ بصَرْف الله المشركين عمَّا كانوا يُريدون من استئصال المسلمين، فإن المسلمين كانوا - أولاً - هم الغالبين بحُسْن تدبير الرسول ﷺ، والصبر والثبات، وتَمَحُّض القَصْد إلى الدفاع عن دين الله وأهله.

فلمَّا أخرجهم الظَّفَرُ عن التزام طاعة رسولهم وقائدهم، ودَبَّ إلى قلوب فريق منهم الطمعُ في الغنيمة، فشلوا وتنازعوا في الأمر كما سيأتي في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ**... الآية﴾[٣].

وزادهم فشلاً إشاعةُ قَتْل الرسول ﷺ حتَّى فَرَّ كثيرون إلى المدينة، منهم: عثمان بن عفان، والوليد بن عقبة، وخارجة بن زيد، ولكنهم استحيوا من دخولها، فرجعوا بعد ثلاث.

واختلط الأمرُ على كثير ممَّن ثَبَتَ.

ولمَّا جاءهم خالد بالفرسان من ورائهم صَار يَضْرِبُ بعضُهم بعضاً على غير هُدَىً، فمنهم الذين استَبْسَلُوا وأرادُوا أن يمُوتُوا على ما مَاتَ عليه الرسولُ ﷺ، ومنهم الذين كانوا معه ﷺ يفدُونَه بأنفسهم، ويتَلَقَّوْنَ السِّهَامَ والسيوفَ دُونَه، حتَّى كان يَعِزُّ عليهم أنْ يَرَوه ناظراً إلى جهة المشركين لئلا يُصيبُه سَهْمٌ.

فكان أبو طلحة - الذي تقدَّم ذِكْرُ نِضَاله عنه - يقولُ له: يا نبيَّ الله، بأبي أنت وأُمِّي، لا تنظُر؛ يُصيبُك سَهْمٌ من سهام القوم.. نَحْرِي دُونَ نَحْرِك.

---

(١) المِجَنُّ: الدرع الواقي للمقاتل.

(٢) البخاري - كتاب المغازي، حديث رقم ٣٧٦٧، مسلم - كتاب الجهاد والسير، حديث رقم ٣٣٤٥.

(٣) آل عمران: ١٥٢.

ولمَّا علم سائرُ المسلمين ببقَاء رسول الله ﷺ نُفخَتْ فيهم رُوحٌ جديدةٌ من القُوَّة، فاجتمع أمرُهم حتَّى يئس المشركون منهم، وصرفهم الله عنهم، كما صرَّح بذلك القرآنُ الكريم.

نماذج رائعة من الحُب والتفاني:

* وفي هذا اليوم العصيب قُتِلَ مُصْعَب بن عمير بين يدى رسول الله ﷺ فدفع اللواءَ إلى عليّ بن أبي طالب، ونَشَبَتْ حَلَقتان من حلَق المغفر في وجنته، فانتزعها أبو عبيدة بن الجراح، عضَّ عليها حتَّى سقطت ثنيتاه من شدَّة غَوْصهمَا في وجهه.

* وامتص مالكُ بن سنان، والد أبي سعيد الخدري الدَّمَ من وَجنته.

وطمع فيه المشركون، فأدركوه يريدون منه ما الله عاصم إيَّاه منه بقوله: ﴿**وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾(١).

وحالوا دونه نَفَرٌ من المسلمين نحو عشرة حتَّى قُتِلُوا.

ثم جالَدَهم طلحةُ حتَّى أجهضهم عنه، تقول أُمُّ المؤمنين عائشة - رضي الله عنها-: «قال أبو بكر: لمَّا كان يوم أُحُد انصرف الناس كُلُّهم عن النبي ﷺ، فكُنْتُ أوَّل من فَاءَ إليه، فرأيتُ بين يديه رجلاً يُقاتِل، فقلت: كُنْ طلحة فِدَاك أبي وأُمِّي «مرتين» فلم أَنْشَب أن أدركني أبو عبيدة بن الجراح وهو يشتدُّ كأنَّه طَيْرٌ، فدفعنا إلى النبي ﷺ فإذا طلحة بين يديه صَريعَاً، فقال ﷺ: دُونَكُم أخاكم، فقد أَوْجَبَ». أي: وجبت له الجنة.

* وترَّسَ عليه أبو دُجَانَة بنفسه، فكان يقع النَّبْل على ظهره وهو لا يتحرك حتَّى كثُر فيه.

---

(١) المائدة: ٦٧.

* ودافع عنه بعض النساء االلواتي شهدن القتال.

قال ابنُ هشام: وقاتَلَتْ أُمُّ عمارة، نسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد، فذكر سعيدُ بن أبي زيد الأَنْصَاري أن أُمَّ سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول: دخَلْتُ على أُمِّ عمارة فقلت لها: يا خالة، أخبريني خَبَرك.

فقالت: خرجتُ أوَّل النهار وأنا أنظرُ ما يصنع الناس، ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيتُ إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه، والدولةُ والريحُ للمسلمين.

فلمَّا انهزم المسلمون انحَزْتُ إلى رسول الله ﷺ فقُمْتُ أباشِرُ القتالَ، وأَذُبُّ عنه بالسيف، وأرمي عنه القوس، حتَّى خَلُصَت الجراحُ إليَّ.

فرأيتُ على عاتقها جُرحًا أجوف له غَوْرٌ، فقلت مَن أصابك بهذا؟ قالت: ابن قمئة أقْمَأَهُ الله، لمَّا ولَّى الناسُ عن رسول الله ﷺ أقبل يقول: دُلُّوني على محمدٍ، فلا نَجَوْتُ إن نَجَا. فاعتَرَضْتُ له أنا ومُصْعَب بن عمير وأناسٌ ممَّن ثَبَتَ مع رسول الله ﷺ، فضربني هذه الضربة، ولكنْ ضربتُه على ذلك ضربات، ولكنَّ عدوَ الله كان عليه درعان.

* وأعطَت امرأةٌ ابنَها السيفَ، فلم يُطِق حملَه، فشَدَّتْه على سَاعِده، وأتَتْ به فقالت: يا رسول الله، هذا ابني يُقاتلُ عنك فقال: أيْ بُني، احمل هَهُنَا. فجُرِحَ، فأتى النبي ﷺ فقال له: لعلك جزعت؟ قال: لا يا رسول الله.

قال: وصَرَخَ صارخٌ بأعلى صوته: إنَّ محمداً قد قُتِل.

قال الزبيرُ فيما ذكره ابن هشام عن ابن إسحاق، من وصفه لهزيمة المشركين: والله، لقد رأيتُني أنظر إلى خَدَم هند بنت عُتبة وصواحبها مُشمِّرات هوَارب، ما دُون أخذهن قليلٌ ولا كثيرٌ، إذ مالت الرُّماةُ إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه، وخلُّوا ظهورنَا للخيل، فأُتينا من خلفنا، وصَرَخَ صارخٌ: «ألا إنَّ محمدًا قد قُتِل».

فانْكَفَأْنَا، وانكفأ علينا القومُ بعد أن أُصبنا أصحاب اللواء، حتَّى ما يدنو منه أَحَدٌ من القوم، ووقع ذلك في نفوس كثير من المسلمين فانهزموا، وكُسِرَتْ قلوبُهم.

* ومَرَّ أنسُ بن النضر بقوم من المسلمين فيهم عمرُ وطلحةُ قد ألقَوْا بأيديهم، فقال: ما تنتظرون؟

فقالوا: قُتِلَ رسول الله.

فقال: فماذا تصنعون بالحياة بَعْدَه؟ ?قُومُوا فمُوتُوا على ما مَاتَ عليه رسولُ الله ﷺ.

ثم استقبل القوم، ولقي سعدَ بن مُعَاذ، فقال: يا سعدُ، إني لأجدُ ريحَ الجنة من دُون أُحُد، فقاتل حتَّى قُتِلَ، ووُجدَ به سبعون ضربة.

* وجُرح عبدُ الرحمن بن عوف نحو عشرين جراحة.

وأقبل رسولُ الله ﷺ نحو المسلمين، وكان أوَّل من عرفَه تحت المغفر كعبُ بن مالك، فصاح بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، أبشروا، هذا رسول الله ﷺ، فأشار بيده أن اسكت.

واجتمع إليه المسلمون، ونهضوا معه إلى الشِّعْب الذي نزل فيه، وفيهم أبو بكر، وعمر، وعليٌّ، والحارث بن الصمَّة الأنْصَاري، وغيرُهم.

وأنزلَ الله النُّعَاسَ على المسلمين أَمَنَةً ورحمةً، فكانوا يُقاتِلُون ولا يشعرون بأَلَم ولا خَوف.

وفي صحيح مسلم أنه ﷺ أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُد في سَبْعَة مِنَ الأَنْصَار وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْش، فَلَمَّا رَهِقُوهُ قَالَ: مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الجَنَّةُ؟ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الجَنَّةِ؟ فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَار فَقَاتَلَ حتَّى قُتِلَ، ثُمَّ رَهِقُوهُ أَيْضًا فَقَالَ: مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الجَنَّةُ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الجَنَّةِ؟ فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَار فَقَاتَلَ

حتَّى قُتِلَ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِصَاحِبَيْهِ: مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا)[١].

وقد زلزل كُلُّ أحد - ساعتئذ - إلاَّ رسول الله ﷺ فإنه لم يتحرك من مكانه.

الرسول ﷺ يقتل أُبيّ بن خلف:

وأدرك رسولُ الله ﷺ أُبَيَّ بن خَلَف وهو مُقَنَّعٌ بالحديد على جواد له يُقال له «العَوْد» كان يعْلفُه في مكة ويقول: أقْتُل عليه محمداً.

وكان قد بلغ الرسولَ ﷺ خبرُه فقال: بل أنا أقتُله إنْ شاء الله.

فلمَّا اقترب منه استقبله مُصْعَب بن عمير، فقَتَل مُصْعَباً، وجعل يقول: أين هذا الذي يزعم أنه نبي؟ فَلْيَبْرُز لي، فإن كان نبياً قَتَلَني.

فتناول رسولُ الله ﷺ الحَرْبَةَ من الحارث بن الصمَّة فطعنه بها، فجاءت في تُرْقُوَته من فُرْجَةٍ بين سابِغَةِ الدِّرْع والبَيْضَة، فكرَّ الخبيثُ منهزماً.

فقال له المشركون: والله ما بك من بأس.

فقال: والله، لو كان ما بي بأهل ذي المجاز لَمَاتُوا أجمعون.

ومات من ذلك الجُرح في «سَرِف»[٢] مرْجِعه إلى مكة، كذا في سيرة ابن هشام، والسيرة الحلبية.

وذكر الأولُ أن رسول الله ﷺ لما أخذ الحَرْبَةَ منه انتفَضَ انتفاضةً تطايرنا منه تطاير الشعراء[٣] عن ظهر بعير، ثُمَّ طعنَهُ طعنةً تَدَأْدَأَ[٤] منها عن فرسه مراراً، وفي [زاد المعاد] أنه مات برابغ.

---

(١) مسلم - كتاب الجهاد والسير، حديث رقم ٣٣٤٤.

(٢) سَرِف: موضع على ستة أميال من مكة، وقيل: سبعة، وتسعة، واثني عشر، تزوج به رسول الله ﷺ ميمونة بنت الحارث، وهناك بنى بها، وهناك تُوفيت.

(٣) الشعراء: ذباب له لدغ.

(٤) تدأدأ: أي تقلب عن فرسه فجعل يتدحرج مراراً.

أقول: ولم يَقْتُل النبيُّ في حياته أحداً سُواه؛ لأنه على كونه أشجع الناس وأثبتهم في مواقف القتال كان أرحمَهم وأرأفَهم، ولذلك كان يكتفي بالتدبير والتثبيت والدفاع عن نفسه، ولعله لو رأى مَنْدُوحَةً عن قَتْل أُبَي لَمَا قَتَلَهُ.

ما بعد القتال:

هذا ما كان من حَرْب الثلاثة الآلاف من المشركين للسَّبْع مئة من المسلمين

ولما انتهت الحربُ أشرَفَ أبو سفيان على الجبل، فنادى: أَفيكُم محمدٌ؟ فلم يُجيبوه.

فقال: أفيكُم ابن أبي قحافة؟ فلم يُجيبوه.

فقال: أفيكُم عمر بن الخطاب؟ فلم يُجيبوه.

فقال: أمَّا هؤلاء فقد كُفيتموهم.

فلم يملك عمرُ نفسه أنْ قال: يا عدُوَّ الله، إن الذين ذكرتَهم أحياءٌ، وقد أبقى الله لك ما يَسُوءك.

فقال: قد كان في القوم مُثْلَةٌ[١] لم آمُر بها ولم تسُؤْني.

ثم قال: اعْلُ هُبَل[٢].

فقال النبي ﷺ: ألا تُجيبُوه؟

فقالوا: فما نقول؟

قال: قولوا: الله أعلى وأَجَلّ.

ثم قال أبو سفيان: لنا العُزَّى[٣] ولا عُزَّى لكم.

---

(١) المُثْلَة: تشويه الجسد قبل القتل أو بعده.

(٢) هُبَل: من أعظم أصنام العرب، كان من عقيق أحمر على صورة إنسان مكسور اليد اليمني، أدركته قريش كذلك، فجعلت له يداً من ذهب.

(٣) العُزَّى: صنم كان بواد يُقال له حراض بإزاء الغمير عن يمين المصعد إلي العراق من مكة، اتخذها ظالم بن أسعد.

obeikandl.com

قال: ألا تُجيبوه؟

قالوا: ما نقول؟

قال: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم.

ثم قال أبو سفيان: يومٌ بيوم بَدْر والحَرْبُ سِجَالٌ.

فأجابه عمرُ: لا سواء، قتْلانَا في الجنة وقتلاكُم في النار. وانصرف الفريقان

الرسول ﷺ يتوجه إلى حمراء الأسد:

ولَمَّا انْكَفَأ المشركون راجعين، ظنَّ المسلمون أنهم يريدون المدينة فقال النبي ﷺ لعَلِيٍّ: «اخرج في آثار القوم، فانظر ماذا يصنعون وماذا يريدون؟ فإن هُم جنَّبُوا الخيل وامتطوا الإبل، فإنهم يريدون مكة، وإن كانوا ركبوا الخيلَ وساقوا الإبل، فإنهم يريدون المدينة، فوالذي نَفْسُ محمدٍ بيده، لئن أرادوها لأسيرَنَّ إليهم، ثُمَّ لأُنَاجزهم فيها.

فرآهم عليٌّ قد جنَّبُوا الخيل، وامتطوا الإبلَ، ووجهوا إلى مكة.

ولما عزموا على الرجوع أشرف أبو سفيان على المسلمين وناداهم: موعدُكم الموسم ببَدْر.

فقال النبي ﷺ: قولوا: نعم قد فعلنا.

ولَمَّا كان المشركون في الطريق تلاوَمُوا فيما بينهم، وقال بعضُهم لبعض: لَمْ تصنعوا شيئاً؛ أصبتم شوكتَهم وحدَهم، وتركتموهم وقد بَقِيَ منهم رءوسٌ يجمعون لكم، فارجعوا حتَّى نستَأصلَ شأْفَتَهم.

فبلغ ذلك النبي ﷺ فنادى الناس، ونَدَبَهُم إلى المسير إلى لقاء عدوهم، وقال: لا يخرج منا إلاَّ مَنْ شَهِدَ القتال.

فاستجاب له المسلمون على ما بهم من الجُرح الشديد والخوف، وقالوا: (سمعًا وطاعةً).

وذلك من خَوَارقِ قُوَّة الإيمان وآياته الكُبْرَى؛ فإن هؤلاء المستجيبين كان قد برح بهم التعبُ والجراحُ تبريحًا.

فسار بهم حتَّى بلغوا حمراء الأسد، وأقبل معبدُ الخزاعيُّ إلى رسول الله ﷺ، فأسْلَمَ، فأمره أن يلحق بأبي سفيان فيَخْذُلَه، فلحقه بالروحاء، فقال: ما وراءك يا معبدُ؟

فقال: محمدٌ وأصحابُه قد تحرَّفوا عليكم، وخرجوا في جَمْعٍ لم يخرجوا في مثله، وقد نَدِمَ مَنْ كان تخلَّف عنهم من أصحابه.

فقال: ما تقول؟

قال: ما أرى أن ترتحل حتَّى يطلعَ أولُّ الجيش من وراء هذه الأكمة.

فقال أبو سفيان: والله، لقد أجمعنا الكَرَّةَ عليهم لنستَأْصلَهم.

قال: فلا تفعل فإني لك ناصحٌ.

فرجعوا على أعقابهم إلى مكة.

ولقيَ أبو سفيان بعضَ المشركين يريد المدينة فقال: هل لك أن تُبَلِّغْ محمداً رسالةً وأوقر لك راحلتَك زَبيبًا إذا أتيتَ إلى مكة؟

قال: نعم.

قال: أبلغ محمداً أنا قد أجْمَعْنَا الكَرَّة لنستأصله ونستأصلَ أصحابَه

فلما بلغ النبي ﷺ والمؤمنين قولُه قالوا: «حسبنا الله ونعم الوكيل».

وقد كان النبي ﷺ يدفن الرجلين والثلاثة من شهداء أحد في قبر واحد، وربما كانوا يُلَفّون بثوب واحد؛ لقلَةِ الثياب، ولم يُغَسَّلُوا، ولم يُصَلَّ عليهم، كما في صحيح البخاري، وإن زعم بعضُ أهل السير أنه صلى عليهم(١).

*****

(١) أخرج البخاري عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّه - رَضِي اللَّه عَنْهمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُد فِي ثَوْب وَاحد، ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا للْقُرْآنِ؟ فَإِذَا أُشيرَ لَهُ إِلَى أَحَدهمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ، وَقَالَ: أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلاءِ، وَأَمَرَ بِدَفْنهِمْ بِدِمَائِهِمْ، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُغَسِّلْهُمْ. أخرجه البخاري - كتاب الجنائز، حديث رقم ١٢٦١.

ومما يذكر في هذا الشأن أن النبي ﷺ لما ندب أصحابه للخروج، قال له جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما -:

«يا رسول الله إني أُحبُّ أن لا تَشْهد مشهداً إلا كنت معك، وإنما خَلَفني أبى على بناته، فأذَنْ لي أسير معك» فأذن له

قال ابن إسحاق: حدثني بعضُ أصحابنا عن عبدالله بن محمد بن عقل قال: سمعت جابر بن عبدالله يقول: قال لي رسول الله ﷺ: ألا أُبَشِّرُكَ يا جابر؟ قال: قلت: بلى يا نبي الله.

قال: إن أباك - حيث أُصيب بأُحُد - أحياه عز وجل ثُمَّ قال له: ما تحبُّ يا عبدالله بن عمرو أن أفعل بك؟

قال: أىْ ربِّ، أُحبُّ أن تردَّنى إلى الدنيا، فأُقاتل فيك فأُقْتَل مرة أخرى.

الرسول ﷺ يُثني على ربّه:

ولمَّا أراد ﷺ الرجوعَ إلى المدينة ركب فرسه، وأمر المسلمين أن يصْطفُّوا، فاصطَفُّوا خَلْفَهُ، وعامَّتهم جَرْحَى، واصطفَّ خلفَهُم النساءُ، وهن أربع عشرة امرأة، فقال ﷺ: اسْتَوُوا حتَّى أُثْنِيَ عَلَى رَبِّي، فَصَارُوا خَلْفَهُ صُفُوفًا، فَقَالَ:

اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ كُلُّهُ، اللَّهُمَّ لا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلاَ هَادِيَ لِمَا أَضْلَلْتَ، وَلاَ مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدْتَ، وَلاَ مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ..

اللَّهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ وَرِزْقِكَ..

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ الَّذِي لاَ يَحُولُ وَلاَ يَزُولُ..

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ يَوْمَ الْعَيْلَةِ، وَالأَمْنَ يَوْمَ الْخَوْفِ..

اللَّهُمَّ إِنِّي عَائِذٌ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا وَشَرِّ مَا مَنَعْتَ..

اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ..

اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ، وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ، وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرَ خَزَايَا وَلا مَفْتُونِينَ..

اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ..

اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَهَ الحَقِّ)[1].

ولما رجعوا قال المنافقون فيمن قُتِلَ: لو كانوا أطاعونا ولم يخرجوا لَمَا قُتِلُوا.

غزوة أُحُد في حديث القرآن الكريم:

إذا تمهَّدَ هذا فلنَشْرَع في تدبُّر حديث القرآن عن هذه الغزوة.

قال الزهري وعاصم بن عمر ومحمد بن يحيى بن حبان وغيرُهم:

كان يوم أحد يومَ بَلاءٍ وتمحيص، اختبر الله عز وجل به المؤمنين، وأظْهَرَ به المنافقين ممَّن كان يُظهر الإسلامَ بلسانه وهو مُسْتَخْفٍ بالكُفر.

فأكرم الله فيه مَنْ أراد كرامَتَه بالشهادة من أهل ولايته، فكان ممَّا نزل من القرآن في يوم أُحُد ستون آية من آل عمران أولها: ﴿**وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ**﴾[2] إلى آخر القصة.

ويطيب لي - في هذا المقام - أن أقول:

إنَّ المؤمنين لم ينكسروا في هذه الغزوة ولم ينتصروا، بل نَالَ العَدوُّ منهم ونالُوا منه، وإنما كَبُرَتْ عليهم؛ لأنهم حُرِمُوا النَّصْرَ وقُتِلَ منهم سبعون، وكانوا يَرْجُون أن يَهزِمُوا المشركين ويَرُدُّوهم مَدْحُورين.

---

(١) مسند أحمد - مسند المكيين، حديث رقم ١٤٩٤٥.

(٢) آل عمران: ١٢١.

قال ابن القيم في [زاد المعاد]:

قال ابنُ عباس: «ما نُصِرَ رسولُ الله في مَوْطنٍ نَصْرَه يوم أُحُد»[١].

فأُنْكِرَ عليه ذلك فقال: بيني وبين مَنْ أَنْكَرَ كتابُ الله، إن الله يقول: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ﴾[٢].

إن من استحضر ذلك، وتدبَّر العواقبَ عرف أن غزوة أحد كانت نَصْراً، لا لمن حضرها فحسب، بل نَصْراً للإسلام وللمسلمين الذين يعملون بما جاء في سورة آل عمران في كُلِّ زمان ومكان، وفيها هذه الآيات التي جمعَتْ من الحِكَم والغايات التي لا يستقيم إسلام مسلم إلا بحُسْن تدبُّرها والعمل بها.

روى مسلم عن النَّوَّاس بْن سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

«سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ، تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ، وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ، قَالَ: كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ[٣] أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ[٤] مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ[٥] تُحَاجَّانِ[٦] عَنْ صَاحِبِهِمَا»[٧].

وقال ابن القيم في [زاد المعاد] من قول ابن عباس - رضي الله عنهما -: «ما نُصِرَ رسولُ الله في مَوطنٍ نَصْرُه يومَ أُحُدٍ».

فلما أُنكر ذلك عليه قال: بيني وبين مَنْ يُنكِرُ كتاب الله، إنَّ الله يقول: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ﴾[٨].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤١٣/١.
(٢) آل عمران: ١٥٢.
(٣) شَرَق: ضياء ونور.
(٤) حزقان: أي جماعتان.
(٥) صواف: جمع صافة، وهي طيور تبسط أجنحتها في الهواء.
(٦) تُحاجَّان: أي تدافعان.
(٧) مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها، حديث رقم ١٣٣٨.
(٨) آل عمران: ١٥٢.

قال ابن عباس: والحَسُّ: القتل. ولقد كان لرسول الله ﷺ ولأصحابه أوَّلُ النهار، حتَّى قُتِلَ من أصحاب المشركين سبعةٌ أو تسعةٌ.

ما قاله ابنُ عباس - رضي الله عنهما -: «ما نُصِرَ رسولُ الله في مَوطنٍ نَصْرُه يومَ أُحُدٍ» قد دَلَّلَ عليه بما وقع في أول النهار، وقد أنزل الله عليهم النُّعَاسَ أَمَنَةً منه في غزاة بَدْر وأحد.

والنُّعَاسُ في الحرب وعند الخوف دليلٌ على الأمن، وهو من الله تعالى

وفي الصحيحين عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

«رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ وَمَعَهُ رَجُلانِ يُقَاتِلانِ عَنْهُ، عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ كَأَشَدِّ الْقِتَالِ، مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلا بَعْدُ»[1].

ولكن بجانب هذا النَّص الذي ذكره ابن عباس ودَلَّلَ عليه، فإن ما وقع بالمسلمين بعد ذلك كان نَصْراً للحِكَم والغايات، أو قُلْ نَصْراً في إعداد النفوس وتمحيصها، وجَعْلِهَا على فِقْهٍ بدينها وهي تواجه ما تواجهه من مداولة الأيام بين الناس إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها.

وقد عقد ابنُ القيِّم فَصْلاً في [زاد المعاد] بعنوان: [في ذكر بعض الحِكَم والغايات المحمودة التي كانت في وقعة أحد] وكُلُّها مُسْتَنْبَطَةٌ من تدبُّر الآيات التي نزلت في سورة آل عمران.

«وقد أشار الله - سبحانه وتعالى - إلى أُمّهاتِهَا وأصولِهَا حيث افتتح القصة بقوله: ﴿**وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ**﴾[2] إلى تمام ستين آية».

---

(١) البخاري - كتاب المغازي، حديث رقم ٣٧٤٨.
(٢) آل عمران:١٢١.

ثم أخذ ابنُ القيِّم في بيان بعض الحِكَم والغايات التي أفَادها من حديث القرآن الكريم:

[١] فمنها: تعريفهم سُوء عاقبة المعصية والفشل والتنازع، وأن الذي أصابهم إنما هو بشُؤْم ذلك.

كما قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾(١).

فلما ذاقوا عاقبةَ معصيتهم للرسول ﷺ، وتنازعهم وفشلهم، كانوا - بعد ذلك - أشدَّ حَذَراً ويقظةً وتحَرُّزاً من أسباب الخُذْلان.

[٢] ومنها: أن حكمة الله وسُنَّته في رُسُله وأتباعهم جَرَتْ بأن يُدَالُوا مرةً، ويُدَالُ عليهم أُخْرَى، لكن تكون لهم العاقبةُ، فإنهم لو انتصروا دائماً دخل معهم المؤمنون وغيرُهم، ولم يتمَيَّز الصَّادق من غيره، ولو انتُصِرَ عليهم دائماً لم يحصل المقصود من البَعثة والرسالة.

فاقتضت حكمة الله تعالى أنْ جَمَعَ لهم بين الأمرين؛ ليتمَيَّز من يتبعهم ويُطيعهم للحق وما جاءوا به، ممَّن يتبعهم على الظهور والغَلَبَة خاصة.

[٣] ومنها: أن هذا من أعلام الرسل، كما قال هرَقْلُ لأبي سفيان:

«هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ أَوْ قَاتَلَكُمْ؟ قُال: نَعَمْ. قَالَ: فَكَيْفَ كَانَتْ حَرْبُهُ وَحَرْبُكُمْ؟ قُالَ: كَانَتْ دُوَلا وَسِجَالا، يُدَالُ عَلَيْنَا الْمَرَّةَ وَنُدَالُ عَلَيْهِ الأُخْرَى.... قال هرَقْلُ: وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى وَتَكُونُ لَهَا الْعَاقِبَةُ» (٢).

---

(١) آل عمران: ١٥٢.

(٢) البخاري - كتاب الجهاد والسير، حديث رقم ٢٧٢٣.

[٤] ومنها: أن يتميز المؤمنُ الصَّادقُ من المنافق الكاذب؛ فإن المسلمين - لمَّا أظهرهم الله على أعدائهم يوم بَدْر، وطَارَ لهم الصَّيْتُ - دخل معهم في الإسلام ظاهراً مَنْ ليس معهم فيه باطناً.

فاقتضت حكمة الله عز وجل أن سَبَّبَ لعباده مِحْنَةً ميَّزَتْ بين المؤمن والمنافق، فأَطْلَع المنافقون رؤوسهم في هذه الغزوة، وتكلموا بما كانوا يكتمونه، وظهرت مُخَبَّاتهم، وعادَ تلويحُهم تصريحاً، وانقسم الناس إلى: كافر، ومؤمن، ومنافق، انقساماً ظاهراً، وعرف المؤمنون أن لهم عدواً في نفس دُورهم، وهم معهم لا يُفَارقونهم فاستعدوا لهم، وتحرَّزُوا منهم.

قال الله تعالى: ﴿**مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ**﴾(١).

أي: ما كان ليَذَركم على ما أنتم عليه من التباس المؤمنين بالمنافقين، حتَّى يميز أهلَ الإيمان من أهل النفاق، كما ميَّزهم بالمِحْنَة يوم أُحُد.

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ الذي يُمَيَّزُ به بين هؤلاء وهؤلاء فإنهم متميِّزون في غيبه وعِلْمه، وهو - سبحانه - يريد أن يُمَيِّزَهم تمييزاً مشهوداً، فيقع مَعْلُومُه - الذي هو غَيْبٌ - شهادة.

وقوله تعالى: ﴿**وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ**﴾ استدراكٌ لما نَفَاهُ من اطِّلاَع خَلْقه على الغيب سُوى الرسل، فإنه يُطلعهم على ما يشاء من غَيْبه، كما قال تعالى: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا**﴾(٢).

فحَظُّكُم أنتم وسعادتكم في الإيمان بالغيب الذي يُطلِع عليه رُسُلَه، فإن آمنتم به وأيْقَنْتُم فلَكُمْ أعظمُ الأجر والكرامة.

---

(١) آل عمران: ١٧٩.
(٢) الجن: ٢٦.

[٥] ومنها: استخْرَاج عُبُودية أوليائه وحِزْبه في السَّراء والضرَّاء، وفيما يُحبون ويكرهون، وفي حال ظَفْرِهم وظَفْر أعدائهم بهم، فإنْ ثبَتُوا على الطاعة والعبودية فيما يُحبُّون وما يكرهون، فهُمْ عبيدٌ حقًّا، وليسوا كمَنْ يعبدالله على حَرْفٍ واحدٍ من السرَّاء والنعمة والعَافية.

[٦] ومنها: أنه - سبحانه - لو نَصَرَهم دائماً، وأَظْفَرَهُم بعدوِّهم في كُلِّ مَوطِن، وجعل لهم التمكين والقهرَ لأعدائهم أبداً لَطَغَتْ نفوسُهم، وشَمخَتْ وارتَفَعَتْ.

فلو بَسَطَ لهم النَّصْرَ والظَّفْرَ لكانوا في الحال الذي يكونون فيها لو بَسَطَ لهم الرزق، فلا يُصْلِحُ عبادَهُ إلا السَّرَّاءُ والضرَّاءُ، والشدَّةُ والرخاءُ، والقَبْضُ والبَسْطُ، فهو المُدَبِّرُ لأمْر عبادِهِ كما يليق بحكمته، إنه بهم خبيرٌ بصيرٌ.

[٧] ومنها: أنه إذا امتحنهم بالغَلَبة والكَسْرة والهزيمة، ذَلُّوا وانْكَسَروا، وخضعوا، فاستَوْجَبُوا منه العِزَّ والنَّصْرَ، فإنَّ خِلْعَةَ النَّصْرِ إنما تكون مع ولاية الذُلِّ والانكسار.

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ**﴾(١).

وقال: ﴿**وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا**﴾(٢).

فهو - سبحانه - إذا أراد أن يُعِزَّ عبدَه ويجْبُرَهُ وينْصُرَه، كَسَرَهُ أولاً، ويكون جَبْرُه له ونَصْرُه على مقدار ذُلِّه وانكساره.

[٨] ومنها: أنه - سبحانه - هيَّأ لعباده المؤمنين منازلَ في دار الكرامة لم تبلُغْهَا أعمالُهم، ولم يكونوا بالغيهَا إلاَّ بالبلاء، فقَيَّضَ لهم الأسبابَ التي تُوصلهم إليها من ابتلائه وامتحانه، كما وفَّقهم للأعمال الصالحة التي هي من جُملة أسباب وُصولهم إليها.

---

(١) آل عمران: ١٢٣ . (٢) التوبة: ٢٥.

[٩] ومنها: أن النفوس تكتسب العافيةَ الدائمةَ والنَّصْرَ والغنى طُغياناً وركوناً إلى العاجلة، وذلك مَرَضٌ يعُوقها عن جِدِّهَا في سَيْرِهَا إلى الله والدار الآخرة، فإذا أراد بها رَبُّهَا ومالكُها وراحمُها كرامَتَه، قَيَّضَ لها من الابتلاء والامتحان ما يكون دواءً لذلك المرض العائق عن السَّيْر الحثيث إليه، فيكون ذلك البلاء والمحنة بمنزلة الطبيب، يسقي العليلَ الدواءَ الكَريه، ويقطع منه العُروقَ المؤلمةَ؛ لاستخراج الأدواء منه! ولو تركه لغَلَبَتْه الأهواءُ حتَّى يكون فيها هَلَكَته

[١٠] ومنها: أن الشهادة عنده من أعلى مراتب أوليائه، والشهداء هم خواصُّه والمقرَّبون من عباده، وليس بعد درجة الصِّديقية إلاَّ الشهادة

وهو - سبحانه - يُحبُّ أن يتخذَ من عباده شُهداء تُراقُ دماؤُهم في محبَّته ومرضاته، ويُؤثرون رضَاه ومحبَّته على نفوسهم.

ولا سبيل إلى نَيْل هذه الدرجة إلا بتقدير الأسباب المُفضِيَة إليها من تسليط العدو

[١١] ومنها: أن الله - سبحانه - إذا أراد أن يُهلك أعداءَه ويَمْحَقَهم قَيَّضَ لهم الأسبابَ التي يستوجبون بها هلاكهم ومَحقَهم، ومن أعظمها - بعد كُفرهم - بَغْيهم، وطُغيانهم، ومبالغتهم في أذى أوليائه، ومحاربتهم، وقتالهم، والتسلط عليهم.

فيَتَمَحَّصُ - بذلك - أولياؤه من ذنوبهم وعُيوبهم، ويزداد - بذلك - أعداؤه من أسباب مَحْقِهم وهلاكهم.

وقد قرَّر الله تعالى ذلك في قوله: ﴿**وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾(١).

(١) آل عمران: ١٣٩، ١٤٠.

فجَمَعَ لهم - في هذا الخطاب - بين تشجيعهم وتَقْوية نفوسهم، وإحياء عزائمهم وهِمَمهم، وبين حُسْنِ التسلية، وذكْر الحكَم الباهرة التي اقتضت إدَالَةَ الكفار، فقال: ﴿**إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ**﴾

فقد استَوَيتُم في القَرْح والألم، وتبايَنْتُم في الرَّجاء والثواب، كما قال تعالى: ﴿**إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ**﴾[1].

فمَا بَالُكم تَهنُون وتَضْعُفون عند القَرْح والألم، فقد أصابهم ذلك في سبيل الشيطان، وأنتم أُصبتُم في سبيلي وابتغاء مرضاتي؟!

ثم أخبر - سبحانه - أنه يُداوِل أيَّام هذه الحياة الدنيا بين الناس، وأنها عَرَضٌ حَاضِرٌ، يَقسمُها دُولاً بين أوليائه وأعدائه، بخلاف الآخرة فإن عِزَّهَا ونَصْرَهَا ورجاءَهَا خالصٌ للذين آمنوا.

ثم ذكر حكمة أخرى: وهي أن يتمَيَّز المؤمنون من المنافقين، فيَعْلَمهم عِلْمَ رُؤيَةٍ ومُشاهدةٍ، بعد أن كانوا مَعْلُومين في غَيْبه.

وذلك العِلْمُ الغيبي لا يترتب عليه ثوابٌ ولا عقابٌ، وإنما يترتب الثوابُ والعقابُ على المعلوم إذا صَارَ مُشَاهَداً واقعاً في الحِسِّ.

ثم ذكر حِكمةً أُخرى: وهي اتخاذُه - سبحانه - منهم شُهداء، فإنه يُحبُّ الشهداءَ من عباده، وقد أعَدَّ لهم أعلى المنازل وأفضلَها، وقد اتخذهم لنفسه، فلابد أن يُنيلَهم درجةَ الشهادة.

وقوله: ﴿**وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾ تنبيهٌ لطيفُ الموقع جداً على كراهته وبُغضه للمنافقين الذين انْخَذَلُوا عن نبيِّه يوم أحد، فلم يشهدوه، ولم يتخذ منهم شهداء؛ لأنه لم يُحبُّهم، فأَرْكَسَهُم ورَدَّهُم ليَحْرمَهُم ما خَصَّ به المؤمنين في ذلك اليوم وما أعطاه مَنْ استُشهِدَ منهم فثَبَّطَ هؤلاء الظالمين عن الأسباب التي وَفَّق لها أولياءه وحزبه.

---

(١) النساء: ١٠٤.

ثم ذكر حكمة أخرى فيما أصابهم ذلك اليوم، وهي تمحيص الذين آمنوا، وهو تنقيتهم وتخليصهم من الذنوب ومن آفات النفوس.

وأيضاً فإنه خَلَّصَهم ومحَّصهم من المنافقين، فتميَّزُوا منهم.

فحصل لهم تمحيصان: تمحيصٌ من نفوسهم، وتمحيصٌ ممن كان يُظهِرُ أنه منهم، وهو عدوهم.

ثم ذكر حكمة أخرى: وهي مَحْق الكافرين بطغيانهم وبَغيهم وعُدوانهم، ثُمَّ أنكر عليهم حُسبانَهم وظنَّهم أن يدخلوا الجنة بدون الجهاد في سبيله والصبر على أذى أعدائه، وأن هذا مُمْتَنَع بحيث يُنكَر على مَنْ ظنَّه وحَسبَه

فقال: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ**﴾(١).

أي: ولَمَّا يقع ذلك منكم فيعلمه، فإنه لو وقع لَعَلِمَهُ، فجازاكم عليه بالجنة، فيكون الجزاءُ على الواقع المَعْلُوم لا على مُجَرَّد العِلْم، فإن الله لا يجزي العبدعلى مُجَرَّد علمه فيه دون أن يقع مَعلومُه.

ثم وبَّخَهم على هزيمتهم من أمرٍ كانوا يتَمَنَّوْنَه ويَودُّون لقاءَه، فقال:

﴿**وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ**﴾(٢).

قال ابن عباس: ولما أخبرهم الله تعالى على لسان نبيِّه بما فعل بشهداء بَدْر من الكرامة، رَغِبُوا في الشهادة، فتَمَنَّوْا قتالاً يُستَشْهَدُون فيه، فيَلْحَقُون بإخوانهم، فأراد الله ذلك يوم أُحُد وسببه لهم، فلم يلبثوا أن انهزموا إلا من شاء الله منهم، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿**وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ**﴾.

---

(١) آل عمران: ١٤٢.

(٢) آل عمران: ١٤٣.

[١٢] ومنها: أنَّ وَقْعَةَ أحد كانت مُقَدمةً وإرهاصاً بين يدي موت رسول الله ﷺ، فثبتهم ووبَّخَهم على انقلابهم على أعقابهم إن مات رسول الله ﷺ أو قُتِلَ بل الواجب له عليهم أن يَثْبُتُوا على دينه وتوحيده، ويموتوا عليه أو يُقتلوا، فإنهم إنما يعبدون ربَّ محمدٍ، وهو حَيٌّ لا يموت.

فلو مات محمدٌ أو قُتِلَ، لا ينبغي لهم أن يصرفهم ذلك عن دينه وما جاء به، فكُلُّ نَفْسٍ ذائقَةُ الموت، وما بُعث محمدٌ ﷺ ليُخَلَّد، لا هُوَ ولا هُم، بل ليموتوا على الإسلام والتوحيد، فإن الموت لابد منه، سواء مات رسولُ الله ﷺ أو بَقِيَ.

ولهذا وبَّخَهم على رجوع من رَجَعَ منهم عن دينه لَمَّا صَرَخَ الشيطانُ: «إنَّ محمداً قُتِلَ» فقال: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ من قَبْله الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾[1].

والشاكرون: هم الذين عرفوا قَدْرَ النعمة، فثَبَتُوا عليها حتَّى ماتوا أو قُتِلُوا، فظهر أثَرُ هذا العتاب وحُكم هذا الخطاب يومَ ماتَ رسولُ الله ﷺ وارتَدَّ مَن ارْتَدَّ على عقبيه، وثَبَتَ الشاكرون على دينهم، فنَصَرَهُم الله وأعزَّهم، وظفَّرهم بأعدائهم، وجعل العاقبةَ لهم.

ثم أخبر - سبحانه - أنه جعل لكُلِّ نَفْسٍ أجلاً لابُدَّ أن تَسْتَوفيَهُ، ثُمَّ تَلْحَق به، فيَرد الناسُ كُلُّهم حَوْضَ المنايا مَوردِاً واحداً وإن تنوَّعَتْ أسبابُه، ويَصْدُرون عن موقف القيامة مصَادرَ شتَّى.

﴿**فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ**﴾[2].

---

(١) آل عمران: ١٤٤.
(٢) الشورى: ٧.

ثم أخبر – سبحانه – أن جماعة كثيرةً من أنبيائه قُتِلُوا، وقُتِلَ معهم أتباعٌ لهم كثيرون، فما وَهَنَ مَنْ بَقِيَ منهم لَمَا أصابهم في سبيله، وما ضَعُفوا وما استكانوا، بل تَلَقَّوا الشهادة بالقوة والعزيمة والإقدام.

فلم يُستَشْهَدوا مُدبرين مُستكينين أذِلة، بل اسْتَشْهَدوا أعِزَّةً كراماً، مُقبلين غير مدبرين. [والصحيح أن الآية تتناول الفريقين كليهما].

ثم أخبر – سبحانه – عمَّا استنْصَرتْ به الأنبياءُ وأُمَمُهم على قومهم، من اعترافهم وتوبتهم واستغفارهم، وسؤالهم ربهم أن يُثَبِّتَ أقدامَهم، وأن ينصرهم على أعدائهم، فقال: ﴿**وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾(١).

*****

لَمَّا علم القومُ أن العدُوَّ إنما يُدَالُ عليهم بذنوبهم، وأن الشيطان إنما يَسْتَزلُّهُم ويهزمهم بها، وأنها نوعان: تقصيرٌ في حقٍّ أو تجاوُزٌ في حَدٍّ وأن النُّصْرَةَ منُوطةٌ بالطاعة، قالوا: ﴿**رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا**﴾.

ثم علموا أن ربَّهم – تبارك وتعالى – إن لم يُثبِّت أقدامَهم وينصرهم، لم يقدروا – هم – على تثبيت أقدام أنفسهم ونَصْرهَا على أعدائهم، فسألوه ما يعلمون أنه بيده دونَهم، وأنَّه إن لم يُثَبِّتْ أقدامَهم وينصرهم لم يَثْبُتُوا ولم ينتصروا.

فوفَّوا المقامين حقَّهما:

مقامُ المقتَضَى: وهو التوحيد، والالتجاء إليه سبحانه.

ومقام إزالة المانع من النُّصْرة: وهو الذنوبُ والإسراف.

---

(١) آل عمران: ١٤٧.

ثم حذَّرهم - سبحانه - من طاعة عدوِّهم، وأخبر أنهم إن أطاعوه خسروا الدنيا والآخرة.

وفي ذلك تعريضٌ بالمنافقين الذين أطاعوا المشركين لمَّا انتصروا وظَفَرُوا يوم أُحُد.

ثم أخبر - سبحانه - أنه مولَى المؤمنين، وهو خير الناصرين، فمَنْ والاه فهو المنصور.

ثم أخبرهم أنه سيُلقي في قلوب أعدائهم الرُّعْبَ الذي يمنعهم من الهجوم عليهم والإقدام على حَرْبهم، وأنه يؤيِّدُ حِزْبَه بجُنْدٍ من الرُّعْبِ ينتصرون به على أعدائهم.

وذلك الرُّعْبُ بسبب ما في قلوبهم من الشرك بالله..

وعلى قَدْرِ الشرك يكون الرُّعْبُ، فالمشرك بالله أشدُّ شيء خَوْفاً ورُعْبَاً.

والذين آمنوا ولم يَلبِسُوا إيمانَهم بالشرك، لهم الأمنُ والهُدَى والفلاحُ، والمشرك له الخوف والضلال والشقاء.

ثم أخبرهم أنه صَدَقَهم وعْدَه في نُصْرَتهم على عدوهم، وهو الصادق الوعد، وأنهم لو استمروا على الطاعة، ولزوم أَمْر الرسول ﷺ لاستمرت نُصرتُهم، ولكن انخلعوا عن الطاعة، وفارقوا مركزهم، فانخلعوا عن عصمة الطاعة، ففارقتهم النُّصْرَةُ، فصرفهم عن عدوهم؛ عقوبةً وابتلاءً، وتعريفاً لهم بسُوء عواقب المعصية، وحُسْن عاقبة الطاعة.

ثم أخبر - سبحانه - أنه عفا عنهم بعد ذلك كُلِّه، وأنه ذو فضل على عباده المؤمنين.

قيل للحسن: كيف يعفو عنهم وقد سَلَّط عليهم أعداءَهم حتَّى قَتَلوا منهم مَن قَتَلُوا، ومثلوا بهم، ونالوا منهم ما نَالُوه؟!

فقال: لولا عَفْوُه عنهم لاسْتَأْصَلهم، ولكن بعفوه عنهم دَفَعَ عنهم عدوهم بعد أن كان مُجمعاً على استئصالهم.

ثم ذكَّرهم بحالهم وقت الفرار مُصْعِدين، أي: جادِّينَ في الهرب والذهاب في الأرض، أو صاعدين في الجبل، لا يَلوُونَ على أحد من نبيِّهم ولا أصحابهم، والرسول ﷺ يدعوهم في أخراهم: «إليَّ عباد الله، أنا رسول الله».

فأثابهم بهذا الهرب والفرار غمّاً بَعْدُ غَمٌّ:

غَمُّ الهزيمة، وغَمٌّ صرخة الشيطان فيهم بأن محمداً قد قُتِل.

وقيل: جازاكم غَمَّاً بما غَمَمتُم رسولَه بفراركم عنه، وأسلمتموه إلى عدوه، فالغَمُّ الذي حصل لكم جزاء على الغَمِّ الذي أوقعتموه بنبيِّه.

والقول الأول أظهر لوجوه:

* [**أحدهما**] أن قوله: ﴿**لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ**﴾[1] تنبيهٌ على حِكمة هذا الغَمِّ بعد الغَمِّ، وهو أن يُنسيهم الحُزْنَ على ما فاتَهم من الظَّفَر، وعلى ما أصابهم من الهزيمة والجراح، فنسوا - بذلك - السبب، وهو إنما يحصل بالغَمِّ الذي يعقبه غَمٌّ آخر.

* [**الثاني**] أنه مطابقٌ للواقع، فإنه حصل لهم غَمٌّ فوات الغنيمة، ثُمَّ أعقبه غَمٌّ الهزيمة، ثُمَّ غَمُّ الجراح التي أصابتهم، ثُمَّ غَمٌّ القتل، ثُمَّ غَمٌّ سماعهم أن رسول الله ﷺ قد قُتل، ثُمَّ غَمُّ ظهور أعدائهم على الجبل فوقهم، وليس المراد غَمَّيْن اثنين خاصة، بل غَمَّاً متتابعا؛ لتمام الابتلاء والامتحان.

* [**الثالث**] أن قوله (بِغَمٍّ) من تمام الثواب، لا أنه سبب جزاء الثواب، والمعنى: أثابكم غَمَّاً مُتصلاً بغَمٍّ جزاءً على ما وقع منهم من الهروب، وإسلامهم نبيَّهم ﷺ وأصحابَه، وتَرْك استجابتهم له وهو يدعوهم، ومخالفتهم له في لزوم

(١) آل عمران: ١٥٣.

مركزهم، وتنازعهم في الأمر وفشلهم وكُلُّ واحد من هذه الأمور يُوجبُ غَمًّا يَخُصُّهُ.

فترادفت عليهم الغُموم، كما ترادفت منهم أسبابُها وموجباتُها، ولولا أنْ تداركهم بعَفوه، لكان أمراً آخر.

ومن لُطفه بهم ورأفَته ورحمته، أن هذه الأمور التي صدرت منهم كانت من موجبات الطباع، وهي من بقايا النفوس التي تمنع من النُّصْرَة المستقِرة، فقَيَّض لهم - بلُطْفِهِ - أسباباً أخرجها من القوة إلى الفعل، فترتبت عليها آثارها المكروهة.

فعلموا - حينئذ - أن التوبة منها، والاحترازَ من أمثالها، ودَفْعها بأضدادها أمْرٌ مُتَعَيَّن، لا يتمُّ لهم الفلاحُ والنُّصْرَة الدائمة المستقرة إلا به، فكانوا أشدَّ حذراً بعدها، ومعرفةً بالأبواب التي دخل عليهم منها «وَرُبَّمَا صَحَّت الأجْسَامُ بالعِلَلِ» ثم إنه تداركهم - سبحانه - برحمته، وخفَّف عنهم ذلك الغَمَّ، وغيَّبَه عنهم بالنُّعَاس الذي أنزله عليهم أَمَنَاً مِنْهُ ورحمةً.

والنُّعَاسُ في الحرب علامةُ النُّصْرة والأمن، كما أنزله عليهم يوم بَدْر، وأخبر أن من لم يُصبْه ذلك النُّعَاسُ فهو ممن أهَمَّتْهُ نفسُهُ، لا دينُه، ولا نبيُّه، ولا أصحابُه، وأنهم يظنون بالله غير الحقِّ ظنَّ الجاهلية وقد فُسر هذا الظنُّ الذي لا يليق بالله بأنه - سبحانه - لا ينصُرُ رسولَه، وأن أمْرَهَ سيضمحل، وأنه يُسلمه للقَتْل.

وقد فُسر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقضائه وقَدَره، ولا حكمة له فيه، ففُسر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتمَّ أمْرُ رسوله ويظهره على الدين كُلِّه.

وهذا هو ظَنُّ السَّوْء الذي ظنَّه المنافقون والمشركون به - سبحانه وتعالى - في سورة الفتح.

يقول - سبحانه -: ﴿**وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً**﴾(١).

وإنما كان هذا ظَنُّ السَّوْء، وظَنُّ الجاهلية المنسوب إلى أهل الجهل، وظن غير الحق؛ لأنه ظنٌّ غير ما يليق بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وذاته المُبرَّأة من كُلِّ عَيْبٍ وسُوء، بخلاف ما يليق بحكمته وحمده، وتفرده بالربوبية والألوهية، وما يليق بوعده الصادق الذي لا يُخلفه، وبكلمته التي سبقت لرُسله أنه ينصرهم ولا يَخذلهم، ولجنده بأنهم هم الغالبون.

فمن ظنَّ بأنه لا ينْصُرُ رسولَه، ولا يُتمُّ أَمْرَه، ولا يؤيِّده ويؤيِّد حِزْبَه ويُعليهم ويُظفِرهم بأعدائه، ويُظهرهم عليهم، وأنه لا ينصر دينَه وكتابَه، وأنه يُديل الشرك على التوحيد، والباطلَ على الحقِّ إدَالَةً مستقِرَّةً يضمحلُ معها التوحيدُ والحقُّ اضمحلالاً لا يقوم بعده أبداً

فقد ظنَّ بالله ظَنُّ السَّوْء، ونَسَبَهُ إلى خلاف ما يليق بكماله وجلاله وصفاته ونُعوته.

فإن حَمْدَهُ وعِزَّتَه وحِكْمَتَه وإلهيَّتَه تأبَى ذلك، وتأبَى أن يُذَلَّ حِزْبُه وجندُه، وأن تكون النُّصرةُ المستقِرَّةُ والظَّفْرُ الدائم لأعدائه المشركين به العادلين به.

فمَنْ ظنَّ به ذلك فما عرفه ولا عرف أسماءَه، ولا عرف صفاته وكماله وكذلك مَنْ أنكرَ أن يكون ذلك بقضائه وقدره، فما عرفه ولا عرف رُبوبيَّته ومُلْكَه وعظمته.

وكذلك مَنْ أنكر أن يكون قَدَّر ما قَدَّره من ذلك وغيره لحكمة بالغة وغاية محمودة يستحِقُّ الحمدُ عليها، وأن ذلك إنما صَدَرَ عن مشيئةٍ مُجرَّدة عن حِكمةٍ وغايةٍ مطلوبةٍ هي أحبُّ إليه من فَوْتِهَا.

---

(١) الفتح: ٦.

وأن تلك الأسباب المكروهة المُفضيَة إليها لا يخرج تقديرُها عن الحكمة لإفضائها إلى ما يُحِبُّ، وإن كانت مكروهةً له.

فما قَدَّرهَا سُدَىً، ولا أنشأها عَبَثاً، ولا خَلَقَهَا باطلاً ﴿**ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ**﴾(١).

وأكثرُ الناس يظنُّون بالله غيرَ الحقِّ ظنَّ السَّوْء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يَسْلَم من ذلك إلا من عرف الله، وعرف أسماءه وصفاته، وعرف مُوجِبَ حَمْدِهِ وحكمته.

فمَنْ قَنَطَ من رحمته، وأَيِسَ من رُوحه، فقَد ظنَّ به ظنَّ السَّوْء.

ومَنْ جوَّز عليه أن يُعذِّب أولياءه - مع إحسانهم وإخلاصهم - ويسوي بينهم وبين أعدائه، فقَد ظنَّ به ظنَّ السَّوْء.

ومَنْ ظَنَّ به أنه يترك خَلْقَه سُدَىً مُعَطَّلينَ عن الأمر والنَّهْي، ولا يُرسلُ إليهم رُسُلَه، ولا يُنَزِّلُ عليهم كُتُبَه، بل يتركهم هَمَلاً كالأنعام، فقَد ظنَّ به ظنَّ السَّوْء.

ومَنْ ظَنَّ أنه لنْ يجْمَعَ عبيده بعد موتهم للثواب والعقاب في دار يُجازَى المحسنُ فيها بإحسانه، والمسيء بإساءته، ويُبَيِّنُ لخَلْقه حقيقةَ ما اختلفوا فيه، ويُظهِرُ للعالمين - كُلِّهم - صِدْقَه وصِدْقِ رُسُلِه، وأن أعداءه كانوا هم الكاذبين، فقَد ظنَّ به ظنَّ السَّوْء.

ومَنْ ظَنَّ أنه يُضَيِّعُ عليه عملَه الصالح - الذي عَمِلَهُ خالصاً لوجهه الكريم على امتثال أمره - ويُبْطله عليه بلا سَبَبٍ من العبد، أو أنه يُعاقبه بما لا صُنْعَ فيه ولا اختيار له ولا قدرة ولا إرادة في حُصُوله، بل يُعاقبه على فِعْله هو سبحانه.

---

(١) ص: ٢٧.

أو ظَنَّ أنه يجوزُ عليه أن يَؤَيِّد أعداءَه الكاذبين عليه بالمعجزات التي يُؤَيِّد بها أنبياءَه ورُسُلَه، ويُجريها على أيديهم يُضلُّونَ بها عبادَه.

وأنه يَحْسُنُ منه كُلُّ شيء حتَّى تعذيبَ مَنْ أَفْنَى عُمْرَه في طاعته، فيُخَلِّده في الجحيم أسفل سافلين، ويُنَعِّمُ من استنفدَ عُمْرَه في عداوته وعداوة رُسُله ودينه، فيرفَعُه إلى أعلى عليين، وكلا الأمرين عنده في الحُسْن سواءٌ، ولا يُعرف امتناع أحدهما ووقوع الآخر إلا بخَبَرٍ صَادقٍ، وإلا فالعقل لا يقضي بقُبْح أحدهما وحُسْن الآخر.. فقَد ظنَّ به ظنَّ السَّوْء.

ومن ظَنَّ به أنه أخبَرَ عن نفسه وصفاته وأفعاله بما ظَاهرُه باطلٌ، وتَشْبيهٌ، وتمثيلٌ، وتَرَكَ الحقَّ لم يُخبِرْ به، وإنما رَمَزَ إليه رُمُوزاً بعيدة، وأشار إليه إشارات مُلغزة، ولم يُصَرِّحْ به، وصَرَّح - دائماً - بالتشبيه والتمثيل والباطل، وأراد من خَلْقه أن يُتعِبُوا أذهانَهم وقُواهُم وأفكارَهم في تحريف كلامه عن مواضعه، وتأويله على غير تأويله، ويتَطلَّبُوا له وجوهَ الاحتمالات المُسْتَكْرَهَة والتأويلات التي هي الألغاز والأحَاجي، وأحالهم - في معرفة أسمائه وصفاته - على عقولهم وآرائهم لا على كتابه، بل أراد منهم ألا يحملوا كلامَه على ما يعرفون من خطابهم ولُغتهم، مع قدرته على أن يُصَرِّح لهم بالحق الذي ينبغي التصريحُ به، ويُريحهم من الألفاظ التي تُوقعهم في اعتقاد الباطل، فلم يفعل، بل سَلَكَ بهم خلافَ طريق الهُدَى والبيان.. من ظنَّ ذلك فقَد ظنَّ بالله ظنَّ السَّوْء.

فإنَّه إنْ قال: إنه غيرُ قادرٍ على التعبير عن الحق باللفظ الصريح الذي عَبَّرَ به هو وسَلَفُه، فقد ظَنَّ بقُدرته العَجْزَ.

وإنْ قال: إنَّه قادرٌ، ولم يُبَيِّن، وعَدَلَ عن البيان وعن التصريح بالحقِّ إلى مَا يُوهمُ، بل يُوقعُ في الباطل المُحَال والاعتقاد الفاسد، فقد ظَنَّ بحِكْمَته ورحمته ظَنَّ السَّوْء، وظَنَّ أنَّه هو وسَلَفُه عَبَّرُوا عن الحق بصريحه دون الله ورسوله، وأن الهُدى والحقَّ في كلامهم وعباراتهم، وأمَّا كلامُ الله فإنه يُؤْخَذُ من ظاهر التشبيه والتمثيل والضلال.

فكل هؤلاء من الظَّانِّين بالله ظنَّ السَّوْء، ومن الظَّانِّينَ به غَيْرَ الحَقِّ ظَنَّ الجاهلية(١).

ثم قال صاحب [زاد المعاد] بعد مَزيد من بيان فيمَنْ ظَنَّ بالله ظَنَّ السَّوْء:

والمقصود ما ساقنا إلى هذا الكلام من قوله: ﴿**وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ**﴾(٢).

ثم أخبر عن الكلام الذي صدر عن ظنِّهم الباطل، وهو قولهم: ﴿**هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ**﴾.

وقولهم: ﴿**لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا**﴾.

فليسَ مقصودُهم بالكلمة الأولى والثانية إثبات القَدَر وردِّ الأمر كُلّه إلى الله، ولو كان ذلك مَقْصُودُهم بالكلمة الأولى لما ذُمُّوا عليه، ولَمَا حَسُنَ الرَّدُّ عليهم بقوله: ﴿**قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ**﴾ ولا كان مصدر هذا الكلام ظَنُّ الجاهلية.

ولهذا قال غيرُ واحد من المفسرين: إن ظنَّهم الباطل - هاهنا - هو التكذيب بالقَدَر، وظنُّهم أنَّ الأمرَ لو كان إليهم، وكان رسول الله ﷺ وأصحابُه تَبَعاً لهم يسمعون منهم، لَمَا أصابهم القَتْلُ، ولَكَانَ النَّصْرُ والظَّفْرُ لهم.

فأكذبهم الله عز وجل في هذا الظَنِّ الباطل، الذي هو ظَنُّ الجاهلية، وهو الظَنُّ المنسوب إلى أهل الجهل الذين يزعمون - بعد نَفَاذ القضاء والقَدَر الذي لم يكن بُدٌّ من نَفَاذه - أنهم كانوا قادرين على دَفْعه، وأنَّ الأمر لَوْ كان إليهم لما نَفَذَ القضاءُ.

فأكذبهم الله بقوله: ﴿**قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ**﴾ فلا يكون إلا ما سبق به قضاؤُه وقَدَرُه، وجَرَى به علْمُه وكتابُه السَّابق.

---

(١) زاد المعاد: ٢/١٤٤ - ١٥١

(٢) آل عمران: ١٥٤.

وما شاء اللهُ كانَ وَلاَبُدَّ، شاء الناسُ أم أَبَوْا، وما لم يَشَأْ لم يَكُن، شاءَه النَّاسُ أم لم يَشَاؤوه.

وما جَرَى عليكم من الهزيمة والقَتْل، فأمْرُه الكَوْني الذي لا سبيل إلى دَفْعه، سواءٌ كان لكم من الأمْر شَئٌ أو لم يكن لَكُم، وأنَّكُم لو كنتم في بيوتكم، وقد كُتِبَ القَتْلُ على بعضكم، لخَرَجَ الذين كُتِبَ عليهم القَتْلُ من بيوتهم إلى مضاجعهم ولابُدَّ، سَواءٌ كان لهم من الأمر شئ أو لم يكن.

وهذا من أظْهَر الأشياء إبطالاً لقَول القَدَريَّة النُّفَاة الذين يُجَوِّزُونَ أن يقع ما لا يشاؤه الله، وأن يشاء ما لا يقع.

ثم أخبر الله عن حِكَمةٍ أخرى في هذا التقدير: هي ابتلاء ما في صدورهم، وهو اختبار ما فيها من الإيمان والنفاق، فالمؤمنُ لا يزدادُ بذلك إلا إيماناً وتسليماً، والمنافق ومَنْ في قلبه مَرَضٌ، لابُد أن يَظْهَر ما في قلبه على جوارحه ولسانه.

ثم ذكر حِكْمَةً أخرى: وهى تمحيص ما في قلوب المؤمنين، وهو تخليصها وتنقيتها وتهذيبها، فإنَّ القلوبَ يُخالطها - بغَلَبَات الطبائع، ومَيْلِ النُّفُوس، وحُكْم العادة، وتزْيين الشيطان، واستيلاء الغفلة - ما يُضادُ ما أُودِعَ فيها من الإيمان والإسلام، والبِرِّ والتقوى، فلو تُرِكَتْ في عافيةٍ دائمةٍ مُسْتَمِرَّة لم تتخلص من هذه المخالطة، ولم تَتَمَحَّصْ منه.

فاقتضتْ حِكْمَةُ العزيز أن قَيَّضَ لها من المِحَن والبلايا ما يكون كالدواء الكَريه لمَنْ عرض له دَاءٌ، إنْ لم يتداركه طبيبُه بإزالته وتنقيته من جسده وإلاَّ خِيفَ عليه منه الفساد والهلاك.

فكانت نعمتُه سبحانه عليهم - بهذه الكَسْرة والهزيمة، وقَتْل مَنْ قُتِلَ منهم - تُعَادلُ نعمتَه عليهم بنَصْرهم وتأييدهم وظَفْرهم بعدوِّهم.

فلَهُ عليهم النِّعْمةُ التَّامَّة في هذا وذاك.

ثم أخبر - سبحانه وتعالى - عن تَوَلِّى مَنْ تَوَلَّى من المؤمنين الصَّادقين في ذلك اليوم، وأنه بسبب كَسْبهم وذُنوبهم، فاسْتَزَلَّهُم الشيطانُ بتلك الأعمال حتَّى تَوَلَّوا، فكانت أعمالاً جنداً عليهم، ازدَادَ بها عدُوهم قُوَّةً.

فإنَّ الأعمالَ جندٌ للعبدوجُنْدٌ عليه ولابُدَّ، فللعبدكُلَّ وقت سَرِيَّةٌ من نفسه تَهزمُه أو تَنْصُره، فهوَ يَمُدُّ عَدُوَّه بأعماله من حيث يظُنُّ أنه يُقاتله بها، ويبعث إليه سَرِيَّةً تغْزُوه مع عَدُوِّه من حيث يظُنُّ أنه يغْزُو عَدُوَّه.

فأعمالُ العبدتَسُوقُه - قَسْراً - إلى مقتضاها من الخير والشر، والعبدُ لا يَشْعُر أو يَشْعُر ويتعامى.

ففرَار الإنسان من عَدُوٍّ - وهو يُطيقُه - إنما هو بجُنْدٍ من عمله بَعَثَهُ له الشيطانُ واستَزلَّهُ به.

ثم أخبر - سبحانه -: أنه عَفَا عنهم؛ لأنَّ هذا الفرَارُ لم يكن عن نِفَاقٍ ولا شَكٍّ، وإنما كان عارِضَاً عفَا الله عنه، فعادت شجاعةُ الإيمان وثباتُه إلى مركزها ونِصَابها.

ثم كرَّرَ عليهم - سبحانه - أن هذا الذي أصابهم إنما أُتُوا فيه من قِبَل أنفسهم وبسبب أعمالهم، فقال - سبحانه -: ﴿**أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾(١).

وذكر هذا بعينه فيما هو أعَمُّ من ذلك في السور المَكيَّة، فقال - سبحانه -: ﴿**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ**﴾(٢).

وقال: ﴿**مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ**﴾(٣).

---

(١) آل عمران: ١٦٥ .
(٢) الشورى: ٣٠.
(٣) النساء: ٧٩.

فالحسنةُ والسيئةُ هَاهُنَا: النعمةُ والمصيبةُ، فالنعمةُ من الله منَّ بها عليك، والمصيبةُ إنما نشَأَتْ من قِبَل نفسك وعَمَلِك.

فالأولُ فَضْلُه، والثاني عَدْلُه، والعبديتقلَبُ بين فَضْله وعَدْله، جَارٍ عليه فَضْلُه، ماضٍ فيه حُكْمُه، عَدْلٌ فيه قَضَاؤه.

وختَمَ الآية بقوله: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ بعد قوله: ﴿**قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ**﴾ إعلاماً لهم بعُموم قُدرته مع عَدْله، وأنه عَادلٌ قَادرٌ.

وفي ذلك إثبات القَدَر والسبب، فذكر السبب وأضافه إلى نفوسهم، وذَكَرَ عُموم القُدرة وأضافها إلى نفسه، فالأول ينفي الجبر، والثانى ينفي القول بابطال القَدَر، فهو يُشاكل قولَه: ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً**﴾[١].

وفي ذكر قُدرته هاهنا نُكتةٌ لطيفةٌ، وهى أن هذا الأمر بيده وتحت قُدرته، وأنه هو الذي لو شاء لصَرَفَه عنكم، فلا تطلبُوا كشفَ أمثاله من غيره، ولا تتَّكلوا على سواه.

وكشف هذا المعنى وأوضَحَه كُلَّ الايضاح بقوله: ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ**﴾[٢].

وهو الإذن الكوني القدري، لا الشرعي الديني، كقوله في السحر: ﴿**وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾[٣].

ثُمَّ أخبر عن حكمة هذا التقدير، وهو أن يَعْلَمَ المؤمنين من المنافقين عِلْمَ عيانٍ ورؤية يتميَّز فيه أحدُ الفريقين من الآخر تميُّزاً ظاهراً.

---

(١) الإنسان: ٣٠.
(٢) آل عمران: ١٦٦.
(٣) البقرة: ١٠٢.

وكان من حكمة هذا التقدير تَكَلُّمُ المنافقين بما في نفوسهم، فسمعه المؤمنون، وسمعوا ردَ الله عليهم وجوابَه لهم، وعرفوا مؤدَّ النفاق وما يؤول إليه، وكيف يُحَرِمُ صاحبُه سعادةَ الدنيا والآخرة، فيعودُ عليه بفساد الدنيا والآخرة فللَه.. كم من حكمة في ضمن هذه القصة بالغة، ونعمةٍ على المؤمنين سابغه.

وكم فيها من تحذير وتخويف، وإرشاد وتنبيه، وتعريف بإسباب الخير والشر ومالهما وعاقبتهما.

ثم عزَّى نبيَّه وأولياءه عمَّن قُتل منهم في سبيله أحسنَ تعزية وألْطفَها وأدعاها إلى الرضى بما قضاه لها، فقال - سبحانه -: ﴿**وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[1].

فجمع لهم إلى الحياة الدائمة منزلةَ القُرب منه، وأنهم عنده، وجريان الرزق المستمر عليهم وفرحهم بما آتاهم من فضله، وهو فوق الرضى، بل هو كمال الرضى، واستبشارهم بإخوانهم الذين - باجتماعهم بهم - يتمُّ سرورهم ونعيمُهم، واستبشارهم بما يُجدَّد لهم كُلَّ وقت من نعمته وكرامته.

وذكَّرهم - سبحانه - في أثناء هذه المِحْنَة - بما هو من أعظم مِنَنِه ونعمه عليهم التى إن قابلوا بها كُلَّ مِحْنَة تنالهم وبليَّة، تلاشت في جنب هذه المنَّة والنعمة، ولم يبق لها أثرٌ البتَه، وهي منَّته عليهم بإرسال رسول من أنفسهم اليهم، يتلو عليهم آياته، ويُزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويُنقذهم من الضلال - الذي كانوا فيه قبل إرساله - إلى الهدى، ومن الشقاء إلى الفلاح، ومن الظلمة إلى النُّور، ومن الجهل إلى العلم.

---

(١) آل عمران: ١٦٩، ١٧٠.

فكُلُّ بليَّةٍ ومحنة تنالُ العبدَ بعد حصول هذا الخير العظيم له، أمرٌ يسيرٌ جداً في جنب الخير الكثير، كما ينال الناس بأذى المطر في جنب ما يحصل لهم به من الخير.

فأعلمهم أن سببَ المصيبة من عند أنفسهم ليحذروا، وأنها بقضائه وقدره ليوحَدوا ويتكلوا، ولا يخافوا غيرَه.

وأخبرهم بما لهم فيها من الحكم، لئلاً يتهموه في قضائه وقَدَره، وليتعرَّف إليهم بأنواع أسمائه وصفاته.

وسلاَّهم بما أعطاهم ممَّا هو أجلُّ قدراً وأعظم خطراً ممَّا فاتهم من النصر والغنيمة.

وعزَّاهم عن قتلاهم بما نالوه من ثوابه وكرامته، لينافسوهم فيه ولا يحزنوا عليهم.

فله الحمدَ كما هو أهلُه، وكما ينبغى لكرم وجهه وعزِّ جلاله(١).

*****

غزوة أُحُد في بيان السنة المطهرة:

وبعد حديث القرآن الكريم عمَّا جرى في غزوة أُحُد، وقد رأينا دلالة آيات الكريم في واقع، وأبصرنا في جميع ما رأينا كيف يُبَصّرنا القرآن لنَنْعَم بنعمة الثبات على الإيمان في مداولة الأيام، لتكون العاقبة لنا.

وهى لن تكون إلا لمّن خشي الله واتَّقاه، والعاقبة للمتقين.

وبعد.. تعالوا بنا لنرى بيان السنَّة المُطَهَّرَة في ذلك، ولتكون دراستنا لوقائع المدينة المُنَوَّرَة دراسة تبصرة وذكرى نستحضرها في كُلِّ شئ، ولا تغيب عنَّا في سرَّاء أو ضرَّاء.

---

(١) زاد المعاد: ٢/١٥٤ - ١٥٧.

وبذلك ومن ذلك نعرف حكمةَ الحياة وغايةَ الوجود، ولا نتأمل أيَّ أمر - صَغُرَ أو كَبُرَ - بعيداً عمَّا حفظه الله لنا من هداية وأبقاه من تبصره.

روى البخارى ومسلم عن زيد بن ثَابِتٍ قال:

«لَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أُحُدٍ، رَجَعَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَتْ فِرْقَةٌ: نَقْتُلُهُمْ، وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: لا نَقْتُلُهُمْ، فَنَزَلَتْ ﴿**فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ**﴾[1] وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّهَا تَنْفِي الرِّجَالَ، كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الحَدِيدِ)[2].

ورى البخارى وأبو داود عَنِ الْبَرَاءِ رضي الله عنه قَالَ: «لَقِينَا الْمُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ، وَأَجْلَسَ النَّبِيُّ ﷺ جَيْشًا مِنَ الرُّمَاةِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ، وَقَالَ: لا تَبْرَحُوا، إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلا تَبْرَحُوا، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلا تُعِينُونَا.

فَلَمَّا لَقِينَا هَرَبُوا حَتَّى رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ فِي الجَبَلِ، رَفَعْنَ عَنْ سُوقِهِنَّ، قَدْ بَدَتْ خَلاخِلُهُنَّ.

فَأَخَذُوا يَقُولُونَ: الْغَنِيمَةَ الْغَنِيمَةَ.

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: عَهِدَ إِلَيَّ ﷺ أَنْ لا تَبْرَحُوا.

فَأَبَوْا، فَلَمَّا أَبَوْا صرفَ وُجُوههم، فَأُصِيبَ سَبْعُونَ قَتِيلاً

وَأَشْرَفَ أَبُو سُفْيَانَ، فَقَالَ: أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ؟

فَقَالَ: لا تُجِيبُوهُ

فَقَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟

قَالَ: لا تُجِيبُوهُ.

فَقَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الخَطَّابِ؟

---

(١) النساء: ٨٨.

(٢) البخاري - كتاب الحج، حديث رقم ١٧٥١.

فَقَالَ: إِنَّ هَؤُلاءِ قُتِلُوا، فَلَوْ كَانُوا أَحْيَاءً لأجَابُوا.

فَلَمْ يَمْلِكْ عُمَرُ نَفْسَهُ فَقَالَ: كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ، أَبْقَى اللَّهُ عَلَيْكَ مَا يُخْزِيكَ

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: اعْلُ هُبَلُ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَجِيبُوهُ.

قَالُوا: مَا نَقُولُ؟

قَالَ: قُولُوا: اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ.

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: لَنَا الْعُزَّى وَلا عُزَّى لَكُمْ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَجِيبُوهُ.

قَالُوا: مَا نَقُولُ؟

قَالَ: قُولُوا: اللَّهُ مَوْلانَا ولا مَوْلَى لَكُمْ.

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ، وَالْحَرْبُ سِجَالٌ، وَتَجِدُونَ مُثْلَةً لَمْ آمُرْ بِهَا وَلَمْ تَسُؤْنِي)[1].

وروى البخارى ومسلم عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ:

«لَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُد، انْهَزَمَ النَّاسُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ مُجَوِّبٌ عَلَيْهِ بِحَجَفَةٍ لَهُ[2] وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلاً رَامِيًا شَدِيدَ النَّزْعِ، كَسَرَ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلاثًا.

وَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ بِجَعْبَةٍ مِنَ النَّبْلِ، فَيَقُولُ: انْثُرْهَا لأبِي طَلْحَةَ.

قَالَ: وَيُشْرِفُ النَّبِيُّ ﷺ يَنْظُرُ إِلَى الْقَوْمِ، فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، لا تُشْرِفْ يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ.

---

(١) البخاري – كتاب المغازي، حديث رقم ٣٧٣٧

(٢) مُجَوِّبٌ عَلَيْهِ بِحَجَفَةٍ لَهُ: أي يقيه بدرع من جلد.

obeikandl.com

وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ وَأُمَّ سُلَيْمٍ، وَإِنَّهُمَا لَمُشَمِّرَتَانِ أَرَى خَدَمَ سُوقِهِمَا، تُنْقِزَانِ[١] الْقِرَبَ عَلَى مُتُونِهِمَا، تُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ، ثُمَّ تَرْجِعَانِ فَتَمْلَأَنِهَا، ثُمَّ تَجِيئَانِ فَتُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ.

وَلَقَدْ وَقَعَ السَّيْفُ مِنْ يَدَيْ أَبِي طَلْحَةَ إِمَّا مَرَّتَيْنِ وَإِمَّا ثَلَاثًا)[٢].

وروى البخارى ومسلم والترمذى عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

«غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ، لَئِنِ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ، قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ، يَعْنِي أَصْحَابَهُ، وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ، يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ.

ثُمَّ تَقَدَّمَ، فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: يَا سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، الْجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ، إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ.

قَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعَ؟

قَالَ أَنَسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ.

قَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُنَّا نُرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ: **﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾**[٣]»[٤].

وروى البخارى ومسلم عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ:

---

(١) النقز: الوثب والقفز، والمراد أنهما كانتا تحملان القِرَبَ وتقفزان بها.
(٢) البخاري - كتاب المغازي، حديث رقم ٣٧٥٧.
(٣) الأحزاب: ٢٣.
(٤) البخاري - كتاب الجهاد والسير، حديث رقم ٢٥٩٥.

«قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُد: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فَأَيْنَ أَنَا؟ قَالَ: فِي الجَنَّةِ. فَأَلْقَى تَمَرَاتٍ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ»(١).

وروى البخارى ومسلم عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّه عَنْهَا - ﴿**الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾(٢).

قَالَتْ لِعُرْوَةَ: يَا ابْنَ أُخْتِي، كَانَ أَبَوَاكَ مِنْهُمُ الزُّبَيْرُ وَأَبُو بَكْرٍ لَمَّا أَصَابَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا أَصَابَ يَوْمَ أُحُد، وَانْصَرَفَ عَنْهُ المُشْرِكُونَ، خَافَ أَنْ يَرْجِعُوا. قَالَ: مَنْ يَذْهَبُ فِي إِثْرِهِمْ؟ فَانْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلاً. قَالَ: كَانَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَالزُّبَيْرُ)(٣).

قال الحافظ بن كثير: «وهذا السياق غريب جداً، فإن المشهور عند أصحاب المغازى أن الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد كُلُّ مَن شهد أُحُداً، وكانوا سبعمائه، قُتل منهم سبعة، وبقى الباقون».

قال الشامي: «والظاهر أنه لا تخالُف بين قول عائشة وأصحاب المغازي؛ لأن معنى قولها: فانتدب لها، فانتدب لها سبعون أنهم سبقوا غيرهم، ثم تلاحق الباقون».

*****

(١) البخاري - كتاب المغازي، حديث رقم ٣٧٤٠.
(٢) آل عمران: ١٧٢.
(٣) البخاري - كتاب المغازي، حديث رقم ٣٧٦٩.

obeikandl.com